محاولات البابوية لتحويل الأحباش عن مذهب الكنيسة المصرية في عهد الإمبراطور جلاوديوس (٩٤٧-٩٦٧هـ/١٥٤٠-١٥٥٩م)

دكتور

محمد جاب الله على عبد الحميد

مدرس التاريخ الإسلامي

كلية الدراسات الأفريقية العليا–جامعة القاهر

مقدمة:

تعد كنيسة الحبشة الأرثوذكسية واحدة من أقدم الكنائس في أفريقيا، إذ تأسست في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي عندما نجح فرومنتيوس(Fromentius) في نشر النصرانية في الحبشة وأقنع ملكها عيزانا(Azana) بالاعتراف بها كديانة رسمية لمملكته. ومنذ تلك اللحظة صارت تلك الكنيسة الوليدة في حاجة إلى من يترأسها ويقوم على شئونها، واتجهت أنظار فرومنتيوس صوب كنيسة الإسكندرية، فسافر إلى مصر ووقف بين يدي البطريرك أثناسيوس عارضًا عليه جهوده في نشر النصرانية في تلك الأراضي البعيدة، مطالبًا بضرورة تعيين أحد رجال الدين المصريين على رأس تلك الكنيسة.

كانت تلك الرحلة التي قطعها فرومنتيوس حتى وصل إلى مصر في فترة عصيبة من فترات الكنيسة المصرية التي كانت تتعرض لمضايقات كبيرة من قبل السلطات البيزنطية حتى أنها نالت بطريرك كنيسة الإسكندرية نفسه، وقد أعطى ذلك لقضية فرومنتيوس أهمية كبيرة جدًا؛ لما تمثله من فتح ونصر لكنيسة الإسكندرية بالنفاذ إلى تلك الأراضي الجديدة ونشر النصرانية فيها. تشاور أثناسيوس مع كبار مستشاريه في هذا الأمر، وجاء القرار بضرورة تعيين فرومنتيوس نفسه على رأس كنيسة الحبشة لخبرته بتلك الأرض وأهلها، فرسمه البطريرك السكندري مطرانًا لكنيسة الحبشة. ومنذ ذلك الحين صارت كنيسة الحبشة تابعة للكنيسة الأم في الإسكندرية، ولا يعين على رأسها إلا أحد الرهبان المصريين. وقد تمتع المطران المصري بنفوذ واحترام كبير في الحبشة.

استمرت تلك العلاقة موصولة لا تشوبها شائبة إلى أن ظهرت بعض الأصوات التي تنادي بضرورة فصم العلاقة الروحية بين الكنيستين. وتزامن ذلك مع شيوع فكرة أسطورية ظهرت خلال فترة الحروب الصليبية حول مملكة القديس يوحنا أو برستر جون(Prester John). انتشرت تلك الأسطورة في ركاب الحجاج الأوروبيين العائددين من الأراضي المقدسة، وتؤكد الأسطورة أن تلك المملكة تقع خلف بلاد المسلمين. ومنذ أن انتشرت تلك الأخبار بدأ ملوك أوروبا في البحث عن تلك المملكة للتحالف معها لمواجهة القوى الإسلامية. والحق أن تلك الرغبة في التحالف كانت موجودة كذلك لدى ملوك الحبشة أيضًا؛ حيث كانوا يخوضون حربًا كبيرة ضد القوى الإسلامية على الأطراف الشرقية والجنوبية الشرقية لهضبة الحبشة.

والظاهر في الأمر أن كلا الجانبين كان يرغب في التحالف العسكري ضد القوى الإسلامية في الشمال والجنوب، فما هو دخل الكنيسة في ذلك؟

كانت الكنيسة الحبشية أحد أهم أركان التحالف الحبشي الصليبي، ففي الوقت الذي سعت فيه السلطة الزمنية في أوروبا للتحالف العسكري مع ملوك الحبشة كان باباوات روما الواحد تلو الآخر يراسلون نفس الحكام لدعوتهم لربط كنيستهم بكنيسة روما عوضًا عن كنيسة الإسكندرية. وقد أثمرت تلك الاتصالات خلال النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي عندما شارك وفد حبشي في مؤتمر فلورنسا ٨٥٣هـ/١٤٥١م الذي كان يهدف إلى توحيد الكنائيس النصرانية. كان هذا اللقاء هو أول لقاء رسمي بين رجال الدين الأحباش ورجال الدين الكاثوليك، ورغم عدم تخلي الأحباش عن مذهبهم وارتباطهم بكنيسة الإسكندرية إلا أنه كان بداية لإرسال بعثة تنصيرية أوروبية إلى الحبشة للقيام بهذا الأمر.

ولم تمض إلا سنوات قلائل حتى بدأ رجال الدين الأوروبيين يتقاطرون على الحبشة بصورة فردية لتحقيق ذلك الأمر، ورغم عدم نجاحهم في هذا الأمر على النحو الذي كانت تتوقعه البابوية في روما، إلا أن ذلك الحلم لم يفارق مخيلة عدد من رجال الدين، ولم يتركوا السعي وراء تحقيق هذا الأمر.

وكما كان التحالف العسكري هو مقدمة تحقيق الوحدة الدينية، فقد كان وصول القوة البرتغالية إلى أرض الحبشة لمساعدة ملكها في حربه ضد الإمام أحمد بن إبراهيم (٩٤٨هـ/١٥٤١م)[١] فرصة لا تعوض لرجال الدين الأوروبيين لتحقيق هدفهم القديم بربط كنيسة الحبشة بكنيسة روما، فوصلت خلال تلك الفترة بعثة يسوعية أرسلتها جمعية يسوع[٢] لنشر المذهب الكاثوليكي في الحبشة، وتحويل كنيستها عن مذهبها الأرثوذكسي.

في ضوء ما سبق يأتي هذا الموضوع ليبرز دور رجال الدين اليسوعيين، الذين كان أغلبهم من البرتغاليين والإيطاليين، في محاولة فصم العلاقة بين الكنيستين المصرية والحبشية، بل وتحويل الأحباش عن مذهبهم الأرثوذكسي إلى المذهب الكاثوليكي. مستغلين في سبيل تحقيق ذلك الاضطرابات الكبيرة التي تعرضت لها مملكة الحبشة، فعلى الصعيد السياسي والعسكري كانت المملكة مفككة ومنهارة بشكل كامل. وعلى الصعيد الديني كانت علاقاتها بكنيسة الإسكندرية مقطوعة؛ مما جعلها فريسة للأطماع البابوية في روما. وينقلنا

هذا إلى السبب الآخر، وهو النشاط الكبير للبعثة اليسوعية في أرض الحبشة خلال فترة البحث من خلال المساعدات الأوروبية التي قُدمت للحبشة. وهذا ليس ببعيد عما يحدث في عالمنا المعاصر؛ إذ ما زالت تلك القوى تستخدم ما تقدمه من مساعدات لضرب المصالح المشتركة للشعوب الأفريقية. وأخيرًا تأتي أهمية الموضوع للوقوف على جهود الإمبراطور جلاوديوس في سبيل الحفاظ على مملكة الحبشة سياسيًا ودينيًا.

أما عن سبب اختيار **الفترة الزمنية** للبحث والممتدة بين عامي **(٩٤٧-٩٦٧هـ/١٥٤٠-١٥٥٩م)**، فيرجع إلى أنها تمثل فترة حكم الإمبراطور جلاوديوس؛ لأن تلك الفترة عرفت محاولات حثيثة لليسوعيين بهدف تحويل الأحباش عن مذهبهم الأرثوذكسي إلى المذهب الكاثوليكي، ولذلك فسوف نعرض لتلك المحاولات، وموقف جلاوديوس منها. وتبدأ الدراسة بعام (٩٤٧هـ/١٥٤٠م)، وهو العام الذي تولى فيه جلاوديوس عرش الحبشة، وتزامن ذلك مع وصول القوة البرتغالية لمساعدته في حربه ضد الإمام أحمد بن إبراهيم، وكذلك تسارع الجهود اليسوعية لنشر المذهب الكاثوليكي في خضم الاضطراب الذي شهدته الحبشة آنذاك. ويأتي تحديد نهاية الفترة الزمنية للبحث بعام (٩٦٧هـ/١٥٥٩م)، لأنه العام الذي قتل فيه الإمبراطور جلاوديوس، وكان قد حقق للحبشة الاستقرار والوحدة بعد أن تمكن بمساعدة البرتغاليين من تحقيق عدة انتصارات ضد القوي الإسلامية. والأهم بالنسبة لموضوع هذا البحث أن جلاوديوس تمكن من الحفاظ على إيمان كنيسته، بتحقيق اتصال فعال مع كنيسة الإسكندرية، وطرده رجال الدين اليسوعيين من أرض الحبشة.

وفيما يخص **الدراسات السابقة** فإن هذا الموضوع لم يحظ بدراسة عربية وافية تتناول كنيسة الحبشة كجزء من كنيسة الإسكندرية، وما تعرضت له من محاولات غربية لفصم العلاقة بينهما، وتحويل كنيسة الحبشة للمذهب الكاثوليكي، باستثناء ما كتبه الدكتور زاهر رياض تحت عنوان" **كنيسة الإسكندرية في إفريقيا** " والذي يخص الفترة السابقة على فترة هذا البحث، والتي لم تشهد محاولات جدية في هذا الصدد. كما أنه يؤكد على الارتباط الوثيق بين الكنيسة المصرية في مصر وخارجها على أعتبار أن كنيسة الحبشة جزء لا يتجزء من الكنيسة المصرية.

أما **الدراسات الأجنبية**، فإنها لم تشر بشكل مباشر إلى هذا الأمر، بل جاءت مُغرضة غالبًا، فقد أشارت إلى محاولات رجال البعثة اليسوعية نشر المذهب الكاثوليكي في الحبشة

جنبًا إلى جنب مع المذهب الأرثوذكسي، أي إنها لم تفصح عن محاولة اليسوعيين القضاء تمامًا على المذهب الأرثوذكسي في الحبشة. كما حاول الكتَّاب الأوربيون في كتاباتهم إبراز مدي تفرد كنيسة الحبشة في مذهبها وتقاليدها التي لا تتشابه مع أية كنيسة أخرى بما في ذلك الكنائس الشرقية، وعلى رأسها كنيسة الإسكندرية التي تتبعها كنيسة الحبشة. وتؤكد تلك الكتابات أيضًا على وجود العديد من التأثيرات الغربية في صميم عقيدة الكنيسة الحبشة. ويتبين لنا هنا أن مقصد تلك الكتابات ليس التأريخ لكنيسة الحبشة بقدر محاولة لإضعاف صلتها بالكنائس الشرقية وفي القلب منها كنيسة الإسكندرية، ومحاولة التقريب بين كنيسة الحبشة وكنيسة روما.

ومن أهم تلك الدراسات دراسة ألفريدو دا كوستا(Alfredo da Costa) في مقالته بعنوان "والدة الإله في التقليد المسيحي الإثيوبي".

A Mãe de Deus na tradição cristã etíope: uma leitura introdutória da Anáfora de Santa Mariade Abba Ciríaco de Behnesa.

والتي ركز فيها على التقديس الكبير من جانب الأحباش للسيدة العذراء، وهذا يخالف الوضع في الكنيسة المصرية. ويؤكد كذلك على احتفاظ كنيسة الحبشة بكثير من التأثيرات المحلية في طقوسها كالتضحيات الحيوانية، هذا فضلًا عن التأثيرات السريانية واليهودية. بل ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك عندما ادعى وجود تأثيرات رومانية وأرمينية في كنيسة الحبشة، ويعزو وجود تلك التأثيرات إلى الحجاج الأحباش الذين تجولوا في حوض البحر المتوسط ثم عادوا إلى الحبشة ليضعوا بصماتهم على طقوس كنيستهم.

وهناك دراسة أخرى للباحث تيلاهون زيليليو (Tilahun Zellelew) بعنوان "اللحم والسكين كعلامات للهوية الدينية في إثيوبيا"

Meat and Knife as Markers of Religious Identity in Ethiopia.

وهو لا يختلف كثيرًا عن سابقه؛ إذا ركز على فترات العزلة الطويلة التي عاشتها كنيسة الحبشة عن الكنائس النصرانية الأخرى، ولذا اتسمت طقوسها بقدر كبير من التفرد، بل عدَّ الكنيسة الأرثوذكسية الحبشية متفردة عن الكنائس الأرثوذكسية الشرقية بما فيها كنيسة الإسكندرية، وركز في ذلك على الطقوس وما بها من تأثيرات محلية؛ إذ يشير إلى أن النصرانية الحبشية قد تطورت بشكل أساسي من مصادر داخلية لما فيها من ممارسات تقليدية، كما تظهر فيها التأثيرات اليهودية. كما أعطى حيزًا كبيرًا لمناقشة أفكار الفرق

الخارجة عن عقيدة وتقاليد الكنيسة الأرثوذكسية، وذلك في محاولة لإثبات عدم استقرار كنيسة الحبشة آنذاك، وإثبات ضعف تأثير الكنيسة المصرية على كنيسة الحبشة في مقابل زيادة التأثير الكاثوليكي مما يبرر الانفصال بين الكنيستين المصرية والحبشية.

وتبرز في هذا الصدد عدة تساؤلات حول كيف كانت أوضاع مملكة الحبشة قبيل وصول جلاوديوس إلى سدة الحكم؟ كيف تولى جلاوديوس حكم الحبشة رغم أنه ليس أكبر أبناء الملك لبنا دنجيل؟ ما هي دوافع اهتمام البعثات اليسوعية بأفريقيا عامة والحبشة بوجه خاص؟ إلامَ انتهت التجربة اليسوعية في الحبشة؟

وللإجابة على تلك التساؤلات تم تقسيم البحث إلى عدة مباحث على النحو التالي:

أولًا- مملكة الحبشة عشية تولي جلاوديوس الحكم.

ثانيًا- علاقة جلاوديوس بسلطنات الزيلع الإسلامية.

ثالثًا- أسطورة القديس يوحنا(Prester John) والنشاط اليسوعي في شرقي أفريقيا في القرنين ٩-١٠هـ/١٥-١٦م.

رابعًا- انعكاس الأوضاع السياسية في الحبشة على أحوال الكنيسة.

خامسًا- الجهود اليسوعية وهوية الكنيسة الحبشية في عهد الإمبراطور جلاوديوس.

أولًا: مملكة الحبشة عشية تولي جلاوديوس الحكم

كانت مملكة الحبشة أواخر عهد الملك لبنا دنجيل(Libne-Dingil)(٩١٤-٩٤٧هـ/١٥٠٨-١٥٤٠م) تعاني أشد المعاناة؛ فقد مزقتها الحروب التي خاضتها ضد القوي الإسلامية، والتي بلغت ذروتها تحت قيادة الإمام أحمد بن إبراهيم، الذي تمكن منذ عام ٩٣٧هـ/١٥٣٠م من جمع القوي الإسلامية تحت قيادته، وهو ما مكنه من اجتياح مناطق جديدة في هضبة الحبشة لم يصل إليها أحد من قبل(٣).

ظلت الأوضاع في الحبشة على هذا النحو؛ الإمام أحمد يهاجم والإمبراطور الحبشي لبنا دنجيل يهرب من مقاطعة إلى أخري، ولكنه في ذات الوقت أرسل إلى أوروبا مستنجدًا بالبابا وملك البرتغال لإنقاذ الحبشة النصرانية من الضياع(٤). وعلى الجانب الآخر واصل الإمام أحمد اجتياحه للأراضي الحبشية حتى وصل أكسوم المركز الديني الرئيس في الحبشة واستولي عليها، وفي الوقت نفسه كان المرض والإجهاد قد تمكنا من الإمبراطور لبنا دنجيل فمات عام ٩٤٧هـ/١٥٤٠م(٥).

ورغم وفاة لبنا دنجيل وسيطرة أحمد بن إبراهيم على الجانب الأكبر من هضبة الحبشة، إلا أن الصراع بين الطرفين استمر على أشده إلى أن استشهد الإمام أحمد عام ٩٥٠هـ/١٥٤٣م في معركة واينا ديجا(Wayna Dega)(٦)، التي دارت رحاها بالقرب من بحيرة تانا(٧).

وفي أعقاب وفاة الإمام أحمد بن إبراهيم تغيرت الأوضاع على حد قول البعض؛ حيث هدأت الحرب في الحبشة، نتيجة تراجع المسلمين عن القتال في قلب الهضبة الحبشية، كما غادر الكثيرون ممن ساندوا الإمام أحمد في حروبه إلى أجزاء بعيدة ومتفرقة من ساحل شرق أفريقيا(٨)، ورغم ذلك هناك آراء تشير إلى استمرار حركة الجهاد في الحبشة لسنوات بعد وفاة الإمام أحمد بن إبراهيم(٩).

ولكن يمكننا القول إن حركة الجهاد التي بدأها الإمام أحمد بن إبراهيم كانت قد تراجعت بعد استشهاده، ولم تعد كسابق عهدها من القوة والحماسة، وحسبنا في ذلك ما ذكره عرب فقيه عن حماسة الإمام أحمد للجهاد حيث قال: "...، فتعب الإمام وبكى بكاءً شديدًا حتى احمرت عيناه من البكاء على رجوعهم وعدم موافقتهم له"(١٠). وهذا يؤكد أن حركة الجهاد كانت مرتبطة بشخص الإمام أحمد بشكل كبير.

ومن جانب آخر عانت القوى الإسلامية من الفرقة والتشتت بعد وفاة الإمام أحمد؛ إذ لم تظهر شخصية قوية يمكنها قيادة حركة الجهاد التي بدأها الإمام أحمد إلا في عام(958هـ/١٥٥١م)، أي بعد ثمان سنوات من وفاته(١١). كما أن خلفاء الإمام كانوا أقل نجاحًا في قيادة حركة الجهاد التي بدأها ضد مملكة الحبشة(١٢).

وأما في مملكة الحبشة فقد كان لهذا الصراع الطويل بين الطرفين أثرًا كبيرًا انعكس صداه على أوضاع مملكة الحبشة قبيل تولي الإمبراطور جلاوديوس الحكم (٩٤٧-٩٦٧هـ/١٥٤٠-١٥٥٩) على النحو التالي:-

فعلى **الصعيد السياسي**، كانت مملكة الحبشة تعاني من التفكك والانهيار، فقد وصلت جيوش الإمام أحمد إلى مختلف بقاعها، مما أضعف كثيرًا من الروح المعنوية للجيش الحبشي، وذلك في مقابل زيادة قوة الجيش الإسلامي الذي أنضم إليه بعض المسئولين والقادة الأحباش، الأمر الذي دفع ملك الحبشة إلى الفرار وعدم مواجهة الإمام أحمد خشية القتل أو الأسر(١٣). وقد نتج عن ذلك الصراع دمار شديد في مملكة الحبشة، ويكفي هنا أن نشير إلى حال الإمبراطور لبنا دنجيل الذي دخل كنيسة أترونسي مريام (Atronse-Mariyam) وبكى بشدة بعد أن عاين الدمار الذي حل بمملكته(١٤). وظل لبنا دنجيل على هذا الحال طيلة اثني عشر عامًا حتي توفي في مقاطعة تيجري(Tigray)، ودفن في ديبرا دامو(Debre-Damo)، تاركًا لخليفته جلاوديوس الذي كان لا يزال صغير السن مملكة ممزقة(١٥).

وعلى **الصعيد الاقتصادي**، عانت الحبشة من ظروف اقتصادية متردية منذ أواخر عهد الملك لبنا دنجيل، ورد البعض السبب في ذلك إلى الظروف المُناخية من قلة المطر ووقوع الجفاف الذي أتى على الزروع والثمار، وتسبب في نفوق قطعان الماشية؛ مما أدى إلى حدوث بعض المجاعات. وقد شهد عهد جلاوديوس أهم تلك المجاعات، إذ وصف الجفاف الذي ضرب البلاد آنذاك والذي استمر على مدى ثلاث سنوات بأنه أصعب فترات الجفاف التى شهدتها البلاد(١٦).

ويمكن أن نضيف إلى ما سبق ما نتج عن الصراع الذي شهدته الحبشة خلال تلك الحقبة بين القوي الإسلامية من جانب ومملكة الحبشة المسيحية من جانب آخر من آثار سلبية على الصعيد الاقتصادي، ذلك الصراع الذي استمر في طوره الأخير لنحو خمسة وعشرين عامًا؛ كانت كفيلة بإنهاك الحبشة وإضعافها اقتصاديًا(١٧).

وفي خضم تلك الأحداث أشار ألفاريز إلى تحركات البدو الرعاة للوصول إلى المناطق البعيدة عن الجفاف، وهذا يعني أن الحرب وإن كانت أحد أسباب الانهيار الاقتصادي للحبشة في أواخر عهد لبنا دنجيل وبداية عهد جلاوديوس، فإن العوامل المُناخية تظل هي السبب الرئيس في ذلك الانهيار الاقتصادي، فقد ضربت الحبشة مجاعة كبيرة سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م، ثم تجددت بعد ذلك في سنة ٩٥١هـ/١٥٤٤م، والتي استمرت لثلاث سنوات بسبب عدم سقوط المطر، ومن ثمّ وقع الجفاف وتلته المجاعة(١٨).

وعلى **الصعيد الاجتماعي**، كان تأثير ذلك الصراع واضحًا، ولا سيما في مناطق التماس على الحدود الفاصلة بين الطرفين، في شوا(Shewa) وولو(Wollo) والمقاطعات الشمالية الشرقية(١٩)؛ إذ نتج عن الصراع بعض التحولات الديموغرافية؛ فيشير أبينك(Abbink) إلى التحركات السكانية التي شهدتها مناطق التماس، ونتج عن ذلك المصاهرة بين الجماعات المهاجرة؛ وتحول الناس في تلك الجهات من المعتقدات التي عرفوها منذ القدم إلى المسيحية أو الإسلام(٢٠).

ويري الباحث أن فرضية أبينك هذه تقصر التغيرات الاجتماعية التي شهدتها مملكة الحبشة في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي على مناطق التماس فحسب، وهذا على خلاف الواقع فالتحركات السكانية –وهي مؤثر رئيس في التغيرات الاجتماعية– التي شهدتها الحبشة خلال حركة الإمام أحمد كانت كبيرة وشملت معظم أجزاء مملكة الحبشة المسيحية، وهو ما يمكننا القول معه حدوث الكثير من التغيرات الاجتماعية في جهات مختلفة من مملكة الحبشة، وليس في مناطق التماس فقط.

يدعم هذا الرأي ما ذهب إليه كل من جاسكون آلان(Gascon Alain) وهيرش برتراند(Hirsch Bertrand) من أن المجموعات الصومالية صار لها تأثير وحضور قوي في التاريخ الحبشي منذ وصولها إلى قلب الهضبة الحبشية خلال فتوحات الإمام أحمد بن إبراهيم في منتصف القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي(٢١).

والملمح المهم الذي اتفق عليه أبينك وجاسكون آلان هو تلاشي الحدود العرقية والدينية في العديد من المواقع في الحبشة والمناطق السهلية، فقد ظلت الأقليات النصرانية التي نشأت في فترة التوسع الحبشي في الأراضي الإسلامية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين موجودة، وذلك في مقابل المد

الإسلامي في قلب هضبة الحبشة[٢٢]. كما أننا نجد تقديرًا كبيرًا من جانب المسلمين للقديسين الأحباش، وفي المقابل قدر المسيحيون الأولياء الصالحين من المسلمين، وتبادل الطرفان زيارة قبور القديسين والأولياء[٢٣].

ويؤكد هذا على التغيرات الاجتماعية والثقافية الكبيرة التي طرأت على المجتمع الحبشي، وكذلك على الوافدين الجدد خلال تلك الفترة[٢٤]، والتي كانت نتاج عوامل ثلاثة رئيسة، كان أولها هو حركة فتوحات الإمام أحمد بن إبراهيم في الفترة من عام ٩٣٣-٩٥٠هـ/١٥٢٦-١٥٤٣م، وثانيها التحركات السكانية من قبل قبائل الصومال وغيرها من القبائل نحو قلب الهضبة الحبشية[٢٥]، وأما ثالثها فيتمثل في وجود البرتغاليين على أرض الحبشة[٢٦].

على هذا النحو كانت أوضاع مملكة الحبشة منذ أواخر عهد الملك لبنا دنجيل وبداية عهد الملك جلاوديوس الذي تمكن من الخروج بالحبشة من مأزقها الشديد أواخر فترة العصور الوسطى؛ وذلك بعد أن تمكن بمساعدة البرتغاليين من وقف الزحف الإسلامي نحو قلب الهضبة الحبشية[٢٧].

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: من هو جلاوديوس وكيف كانت نشأته وتربيته، والكيفية التي وصل بها إلى الحكم؟

وقد تمكن الباحث من رصد ذلك من خلال سيرة الملك المدونة فيما يعرف بالنص الملكي لملوك الحبشة، فجلاوديوس هو ابن لبنا دنجيل بن ناؤود بن بائيد مريام بن زرع يعقوب بن داود، وكان والده قد تمسك بالزواج المقدس من زوجة واحدة على غير عادة ملوك الحبشة، وتلك الزوجة هي سابلا وانجيل(Sabla Wangel) والدة جلاوديوس[٢٨]. ونشأ الأمير نشأة دينية فقد خالط عن قرب رجال الكنيسة، وتعلم على أيديهم. ولكنه في الوقت نفسه تعلم الفروسية والصيد وكافة فنون الحرب[٢٩]، وذكر فوتي كونسيتا(Foti Concetta) في سجله المختصر لملوك الحبشة ما يناقض ذلك؛ فقد أورد أن الأمير لم يتعلم فنون القتال، ولم يذهب إلى أية معركة[٣٠]. وهذا هو لب السؤال الذي طرحناه سلفًا، فكيف لهذا الأمير الذي اختلفت المصادر حول قدراته أن يتولى حكم الحبشة في تلك الظروف التى تمر بها؟

يعترف فوتي نفسه أن الأمير حكم الحبشة وهو لا يزال صبيًا، ولكنه واجه أزمات كبيرة كان على رأسها الصراع ضد السلطنات الإسلامية[٣١]. فقد كان شاهدًا على معاناة والده في صراعه مع القوى الإسلامية، بل قضى عدة سنوات بصحبة والده متنقلًا من مكانٍ لآخر،

تعرض خلالها لكثير من المخاطر، وعاين بنفسه وفاة والده على هذه الحالة من الضعف[٣٢]. وانعكست تلك الظروف التي ظهر فيها جلاوديوس وعايشها على شخصيته، فظهرت عليه أمارات الذكاء والحكمة التي تفوق فيها على من يكبرونه سنًا من أبناء الملك لبنا دنجيل. والنص يعج بكثير من الصفات التي اتسم بها الملك، بل بالغ كاتب النص أشد المبالغة حينما شبهه بكثير من الأنبياء، بزعم أنه جمع صفات الكثيرين منهم، مثل الذكاء، والحكمة، والقوة، والعدل[٣٣].

ويصور النص الملكي جلوس الإمبراطور جلاوديوس على عرش الحبشة بأنه اختيار إلهي حتى يحقق النصر والسلام لمملكة الحبشة بعد سنوات طويلة من الحرب[٣٤]. وثمة أمرٌ آخر مؤثر في فترة حكم جلاوديوس، وكان سببًا مباشرًا في التدخلات الأوروبية في الحبشه عسكريًا[٣٥]، وما تبع ذلك من العودة للتدخل في شئون الكنيسة الحبشية في محاولة لتغيير هويتها[٣٦]. ونقصد بذلك علاقته بالسلطنات الإسلامية على نحو ما سنبين في النقطة التالية.

ثانيًا- علاقة جلاوديوس بسلطنات الزيلع الإسلامية

استمر الصراع بين مملكة الحبشة والقوي الإسلامية في عهد الإمبراطور جلاوديوس، على أشده طيلة ثلاث سنوات قبل وفاة الإمام أحمد، وبوفاته فقدت حركة الجهاد الإسلامية لكثير من قوتها، مما مهد الطريق أمام جلاوديوس لإرسال جيشه لمهاجمة مملكة هَدْيةَ(Hadya)[٣٧] -التي كانت قد تحالفت مع الإمام أحمد- وتمكن جيش الحبشة من تحقق انتصار حاسم على جيش هدية، كما أخذ الأحباش العديد من الأسرى[٣٨].

ورغم الضعف الذي أصاب القوى الإسلامية في الحبشة، إلا أن خلفاء الإمام واصلوا الجهاد، وكانت المناطق الجنوبية المتاخمة لمملكة الحبشة هي المركز الرئيس لحركة الجهاد الإسلامي[٣٩]، فحاول الأمير نور بن مجاهد(958-٩٧٧هـ/١٥٥١-١٥٦٩م)[٤٠] جاهدًا جمع شمل الجيوش الإسلامية لمواصلة الجهاد ضد مملكة الحبشة. وقد نجح الأمير نور في تحقيق بعض الانتصارات، غير أنها لم تكن انتصارات حاسمة للصراع بين الطرفين[٤١].

ولكن المحصلة النهائية لهذا الصراع كانت في صالح ملك الحبشة الذي هاجم دَوَارو(Dawaro)[٤٢]، وهَدْيةَ، ومناطق استقرار جماعات الجالا(Galla)، وتمكن من تحقيق انتصارات حاسمة في تلك المواجهات. ولم يكتف جلاوديوس بتحقيق الانتصار، بل استقر في دوارو، وشيد لنفسه قصرًا فيها. وفضلًا عن ذلك حصل على الكثير من الغنائم، كما أسر

أعدادًا كبيرة من المسلمين كان من بينهم زوجة الإمام أحمد، وسخرهم في قطع الأخشاب وجلب المياه. كما اتخذ إجراءات صارمة ضد حكام السلطنات الإسلامية، ففرض عليهم ولاة من قبله، وجزية كبيرة تحمل إليه كل عام. وكان من بين المكاسب التي حققها ملك الحبشة أنه تمكن من استرجاع أخيه ميناس، وعددٍ من أفراد أسرته كانوا قد أسروا أيام الإمام أحمد بن إبراهيم(٤٣).

ورغم تلك الإجراءات التي اتخذها جلاوديوس ضد السلطنات الإسلامية وشعوبها وحكامها يؤكد نصه الملكي على أنه كان رحيمًا بأعدائه، فلم يعاملهم بذات القسوة التي عاملوا بها إخوانه. ويبين أن الملك اكتفى بالنصر في ساحة الحرب، وعامل الأسرى معاملة جيدة، ويضرب المثل في ذلك بموت أحد أولئك الأسرى على أيدي جندي برتغالي، ويصور ذلك على أنه حدث بالخطأ ومخالفًا لإرادة الملك(٤٤).

ولكن كاتب النص يناقض نفسه عندما يشير إلى خطة جلاوديوس التي وضعها بغية تدمير بلاد المسلمين، ويبرر ذلك بأنه أراد الانتقام من المسلمين على ما فعلوه ببلاده. ويؤكد على أن الملك نفذ خطته، فدمر حصون المسلمين وحرق بيوتهم وجردهم من كل ممتلكاتهم، بل وتمكن من أسر قادتهم وأعداد كبيرة من الرجال والنساء والأطفال(٤٥).

ولعل الحدث الأبرز في الصراع بين الجانبين بعد موت الإمام أحمد بن إبراهيم، هو مقتل الإمبراطور جلاوديوس في المعارك التي شنها الأمير نور بن مجاهد على الحبشة(٤٦). ورغم وفاة الإمبراطور الحبشي إلا أن القوى الإسلامية لم تتمكن من غزو هضبة الحبشة على نحو ما حدث من قبل، بل تعرضت القوات الإسلامية لعدة هزائم اضطرت الأمير نور للفرار نحو الحاكم العثماني في مصوع(٤٧).

ثالثًا- أسطورة القديس يوحنا(Prester John) والنشاط اليسوعي في شرقي أفريقيا في القرنين ٩-١٠هـ/١٥-١٦م

عرفت بلاطات أوروبا أفريقيا جنوب الصحراء من خلال أسطورة القديس يوحنا التي روج لها رجال الدين، ولا سيما جماعات الفرنسكان (Franciscan)، والدومنيكان (Dominican)(٤٨) الذين تجولوا في الشرق كأفراد أو في صحبة الحملات الصليبية ودونوا الكثير من القصص حول تلك المملكة. وكان الهدف من وراء ذلك هو حث القوى السياسية في أوروبا للتحالف مع ذلك الملك في مواجهة القوى الإسلامية في الشرق. واستمرت تلك

القصة في الرواج في كافة أنحاء أوروبا منذ القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد، وحتى القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد(٤٩).

وقد ساعد اختراع الطباعة في منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر للميلاد على رواج أسطورة القديس يوحنا في مختلف أرجاء أوروبا، وشهدت الفترة من عام ٨٩٤هـ/١٤٨٨م وحتى عام ٩٢٩هـ/١٥٢٢م انتشار رسائل قيل أنها وجهت من ذلك القديس إلى ملك فرنسا وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة. وقد تُرجمت تلك الرسائل إلى كثير من اللغات، كما طبعت تلك الرسائل نحو أربع عشرة طبعة مختلفة(٥٠). ومنذ ذلك الحين بدأ الباباوات في روما الواحد تلو الآخر يبذلون جهدهم لإقناع الأحباش بالاعتراف بزعامة بابا روما الروحية عليهم. وكانت التجربة اليسوعية هي أهم وأبرز التجارب التى قام بها الغرب الأوروبي لتحقيق ذلك الهدف(٥١). وفي أواخر القرن الخامس عشر للميلاد توسعت قاعدة المهتمين من المثقفين بتلك الأسطورة، فظهرت بعض القصائد الشعرية التي تحكي عن مملكة القديس يوحنا الذي يحكم مساحة واسعة من الأرض من الهند إلى الحبشة. وتبع ذلك تطور مهم؛ حيث بدأ الفنانون في رسم بعض اللوحات التى تؤكد وجود تلك المملكة، وتعظم من قوة ملكها، الذي تمتع بسلطات كبيرة في الأراضي التي يحكمها لا على الصعيد السياسي فحسب، بل وعلى الصعيد الديني كذلك(٥٢).

وقد بدأت البعثات اليسوعية وفقًا لتلك المعلومات في طرق أبواب أفريقيا جنوب الصحراء(٥٣) منذ القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وكانت أفريقيا آنذاك وفقًا للمخيلة الأوروبية أرضًا وثنية جاهزة لتلقي العقيدة النصرانية. وخلال فترة وجيزة أضحى اليسوعيون أبرز العاملين في الميدان الديني في القارة الأفريقية، إذ امتدت جهودهم إلى مملكة الكونغو القديمة، فشاركوا مع غيرهم في تأسيس كنيسة محلية تولى أسقفيتها نجل الأمير هنري الملاح(٥٤) الذي وصف بأول أسقف كاثوليكي في أفريقيا جنوب الصحراء(٥٥).

تعاظم النفوذ اليسوعي على نحو متسارع في الأراضي الأفريقية خلال القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد، وذلك عندما نجح جونزالو دي سليفيرا (Goncalo de Silveira) (٩٣٣- ٩٦٩هـ/١٥٢٦-١٥٦١م) في التوغل في المناطق الجنوبية حتى وصل إلى أرض المونوموتابا (Monomtapa)(٥٦). كما نجح في تعميد ملك شعب شونا (Shona)(٥٧) في زيمبابوي الحالية(٥٨).

وفي نفس الفترة التى توغل فيها اليسوعيون في غرب القارة دخلت مجموعة أخرى الأجزاء الشرقية من القارة، حيث توجد الأرض الأسطورية للقديس يوحنا وفقًا للتصور الأوروبي[٥٩]. ولما وصلت تلك المجموعة إلى أراضى الحبشة استقروا في إقليم تيجراي (Tigrae) وأسسوا هناك أول أديرتهم الذي أطلقوا عليه اسم فريمونا (Fremona)؛ وذلك تكريمًا للقديس فرومنتيوس أول من قام بنشر النصرانية في بلاد الحبشة خلال القرن الرابع للميلاد[٦٠].

وبدأ اليسوعيون أعمالهم في الحبشة بدراسة اللغة الجعزية التى تمثل اللغة الرسمية للكنيسة، واللغة الأمهرية وهي اللغة الرسمية للمملكة. كما درسوا السجلات التاريخية المبكرة للحبشة منذ زمن مملكة أكسوم، وركزوا في دراستهم على ما كتبه اليونان، وما ورد في المصادر الإسلامية[٦١].

وبعد تلك الدراسة المتعمقة لتاريخ الحبشة أخذوا في بذل جهدهم لتحويل كنيستها إلى المذهب الكاثوليكي[٦٢]. استغل اليسوعيون لتفيذ مهمتهم فترات الاضطراب السياسي التي مرت بها الحبشة، والتي لم يتمكن خلالها ملوك الحبشة من تحقيق اتصال فعال بالقاهرة للحصول على مطران لكنيستهم في حال خلو المنصب من صاحبه. وفي تلك الفترة خلا كرسي المطران من صاحبه، فحاول الأب جون بيرموديز (John Bermudez) الذي كان قد عين مساعدًا لمطران كنيسة الحبشة في وقت سابق، وهو في الوقت نفسه المؤتمن على المراسلات المتبادلة بين النجاشي والبابا[٦٣] في روما أن يترأس الكنيسة الحبشية[٦٤].

استغل البابا في روما تلك الفرصة وأصدر مرسومًا في عام(٩٤٥هـ/١٥٣٨م) بتعيين بيرموديز مطرانًا من قبله لكنيسة الحبشة، ولكن الأوضاع في الحبشة كانت تسيير على غير مراد البابا، فالرجل الذي عينه لم يحظ بأي تقدير من جانب رجال الكنيسة، كما لم يلق قبولًا عند الرهبان. وفضلًا عن الرفض الرسمي له من مؤسسات الكنيسة، فقد كان هناك رفض شعبي لتلك الشخصية التى اتسمت بالتعالي والغرور[٦٥]، وكذلك للأفكار التي بثها اليسوعيون فيما يخص العقيدة. وقد دفع ذلك أحد أفرد تلك البعثة يدعى الأب لوبو(Father Lobo) إلى التأكيد على أن الشعب تجنبهم، بل نظر إليهم على أنهم زنادقة. وعلاوة على ما سبق فقد تغيرت الأوضاع السياسية في الحبشة مع صعود الإمبراطور جلاوديوس؛ حيث نعمت الحبشة بقدر من الاستقرار، وهنا بدأ الرفض السياسي للأفكار اليسوعية التي حاولت بالأساس

استغلال أوضاع الحبشة المضطربة كما ذكرنا من قبل، وحاول الملك بكل قوة الحفاظ على هوية كنيسته ضد التدخلات البرتغالية(٦٦).

رابعًا- انعكاس الأوضاع السياسية في الحبشة على أحوال الكنيسة

كان للأوضاع السياسية التى مرت بالحبشة منذ نهاية عهد لبنا دنجيل وبداية عهد خلفه جلاوديوس، ولاسيما الصراع مع القوى الإسلامية، وتحقيق الاتصال المباشر مع أوروبا، وما تبعه من تحركات يسوعية واسعة في القارة الأفريقية انعكاسه على أحوال الكنيسة. واجهت كنيسة الحبشة الأرثوذكسية خلال تلك الحقبة صعوبات كبيرة في ممارسة وظيفتها منذ أواخر عهد الملك لبنا دنجيل، ولا سيما في تلك المناطق التي شهدت مواجهات بين المسلمين والنصارى؛ إذ تعرضت العديد من الكنائس والأديرة للتدمير، وكانت المحصلة النهائية لذلك أن أقبل بعض السكان من النصارى على اعتناق الإسلام، في حين ظل البعض الآخر بلا رعاية دينية. ويؤكد النص الملكي للإمبراطور جلاوديوس على عظم مأساة الكنيسة الحبشية، فبالكاد -وفقًا للنص الملكي- حافظ واحد من كل عشرة من الأحباش على إيمانه(٦٧). في حين تؤكد كتابات أخرى أن بعض النصارى فضلوا دفع الجزية، وكان على رأس أولئك الذين قبلوا دفع الجزية الأمراء النصارى وأتباعهم، وذلك كونهم يمثلون رمز المملكة المسيحية في الحبشة(٦٨).

وارتبط تحول السكان إلى الإسلام في الكثير من المناطق التي شهدت حضورًا إسلاميًا قويًا بضعف دور الكنيسة في تلك الجهات، وعدم وجود قوة مسيحية يمكنها الدفاع عنهم إذا ما تمسك رعاياها بالعقيدة المسيحية. ومن ثمَّ ارتبط تحولهم بالخضوع للسلطة الجديدة أكثر من اقتناعهم بالعقيدة ذاتها. يؤكد ذلك تنكرهم للإسلام وعودتهم للكنيسة الحبشية فور عودة السيادة الحبشية على المناطق التي سبق وسيطر عليها المسلمون، وظهر ذلك جليًا في المناطق الجنوبية أكثر من المناطق الوسطى(٦٩).

ويرى الباحث أن هذا القول مردود، فقد أسلفنا أن نصارى الحبشة الذين عاشوا في المناطق التي سيطر عليها المسلمون كانوا مخيرين بين الإسلام ودفع الجزية، فليس هناك ما يبرر اعتناقهم الإسلام عن غير قناعة به أو رغمًا عنهم. ويدحض ذلك الرأي أيضًا النص الملكي للإمبراطور جلاوديوس الذي أشار كاتبه إلى ضعف دور الكنيسة في أطراف مملكة الحبشة المسيحية إبان الصراع. بل أكد النص الملكي للإمبراطور جلاوديوس أن الكنيسة

كانت قد وصلت إلى حالة من التردي والضعف لم تعرفها من قبل، فالأمر كان مرتبط بصورة أكبر بالكنيسة والقائمين عليها(٧٠).

وفضلًا عن ذلك فالقول بأن الأمراء والنبلاء قبلوا فقط بدفع الجزية وحافظوا على عقيدتهم ورفضوا الإسلام مردود؛ وذلك لأن العديد من قادة جيوش الحبشة بل والمقربين من ملكها قبلوا الإسلام وحسن إسلامهم، وبقدر قربهم من ملك الحبشة في السابق أضحوا من المقربين للإمام أحمد بن إبراهيم الذي عين بعضهم حكامًا على المقاطعات الجديدة(٧١). والأمثلة على ذلك كثيرة، ولكن لا يتسع المقام لذكرها، فنكتفي هنا بمثال واحد فقط وهو فرشحم دين(Farasaham Din) الذي اعتنق الإسلام عندما توسع المسلمون في أرض الحبشة. ولما تراجع المد الإسلامي عن أرض الحبشة تمسك بالإسلام إلى أن جاء الأمير نور الدين لغزو أرض الحبشة من جديد قرر فرشحم دين الرحيل مع الأمير نور واستقر به المقام في هرر إلى إن مات ولكن لا نعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد(٧٢).

ولما كان الأدب من أهم الميادين ارتباطًا بالكنيسة الحبشة، فإننا يمكن أن نلمس ضعف دور الكنيسة الرعوي في ذلك الميدان أيضًا؛ فقد حدث تحول كبير في الاهتمامات الأدبية للأحباش، فلم تعد كما في السابق تختص بالقديسين والسيدة العذراء والسيد المسيح، وإنما ظهرت اتجاهات أخري يغلب عليها الطابع العسكري وأدب المقاومة؛ لتحفيز الأحباش على الصمود أمام الزحف الإسلامي. كما حاول الأدباء الأحباش الطعن في إسلام القبائل التي انضمت لقوات الإمام أحمد، فأشاروا إلى أن تلك القبائل التي اعتنقت الإسلام واستخدمت اللغة العربية استخدمت في الوقت نفسه اللغة الأمهرية للحفاظ على تقاليدها المحلية بعيدًا عن الإسلام(٧٣).

أنتج الأدباء كذلك –بعيدًا عن الكنيسة– بعض الروايات التاريخية حول الحرب والتدخلات البرتغالية لصالح الأحباش، وقد لقيت تلك الروايات رواجًا كبيرًا في أوروبا المتعطشة لتحقيق انتصار حاسم ضد المسلمين، كما فتحت تلك الروايات المجال واسعًا أمام البابوية لتحقيق بعض أهدفها في الحبشة، وخدمت كذلك المصالح الأوروبية في شرقي أفريقيا(٧٤).

وفي خضم تلك الأحداث حاول بعض رجال الدين الأحباش تفسير أسباب ضعف مملكتهم في مواجهة المد الإسلامي، وجاء تفسيرهم للأحداث دينيًا بحتًا؛ فأرجعوا ذلك إلى

فساد الملك لبنا دنجيل الذي تسامح مع الممارسات الوثنية في البلاد، كما انغمس في الملذات الدنيوية وابتعد عن الدين حتى أطلقوا عليه في بعض كتاباتهم لقب العاصي، ثمّ كانت حركة الإمام أحمد بن إبراهيم في نظرهم بمثابة عقاب إلهي له على تلك الأفعال(٧٥).

ولم يقف الأمر برجال الدين الأحباش عند حد الطعن في الملك لبنا دنجيل، وإنما تعرضوا كذلك للإمام أحمد وحاولوا تشوية صورة والدته، وأما حركته الجهادية، فصوروها على أنها ما قامت إلا لدوافع شخصية لديه؛ حيث أراد الانتقام من الرهبان الأحباش الذين قتلوا والده قبل سنوات عدة(٧٦). كما ساير رجال الدين الأحباش في كتاباتهم غيرهم من الكتّاب، فحاولوا أيضًا تشويه صورة القبائل التي انضمت لصفوف الإمام أحمد، فصوروا عاداتهم وتقاليدهم على أنها تمثل جوهر الوثنية(٧٧).

ورغم ذلك الضعف في دور الكنيسة، ولا سيما في المناطق البعيدة عن مركز المملكة برزت بعض نقاط القوة في أداء رجال الدين الأحباش، الذين أخذوا يروجون للحج الداخلي إلى المناطق التي عدوها مقدسة في أرض الحبشة، وذلك حتى يتجنب الحجاج الأحباش مخاطر الطريق إلى بيت المقدس؛ حيث يمر ذلك الطريق عبر الأراضي الإسلامية. وكان مبدأ هذا الأمر خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي مع تصاعد الصراع بين الحبشة من جانب وممالك الطراز الإسلامية(٧٨) من جانب آخر(٧٩).

وحدد رجال الدين الأحباش بعض المواقع في أرض الحبشة كمواقع للحج كان أهمها منطقة أكسوم(Axum) التي تعد كلها مدينة مقدسة، ومجموعة كنائس لاليبالا(Lalibala) في إقليم لاستا التي تشبه المدينة المقدسة في بيت المقدس في بنائها وأسمائها، وكنيسة الأمبا جيسان(Amba Gessän) في إقليم أمهرا والتي تضم على حد زعمهم الكثير من آثار الرسل والشهداء والقديسين. كما تزعم التقاليد الكنسية في الحبشة أن تلك المناطق شهدت الكثير من المعجزات كظهور السيد المسيح على سبيل المثال. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما أعلن رجال الكنيسة الأحباش أن الغفران الذي يحظى به الحجاج القادمون إلى تلك المناطق مساويًا تمامًا للغفران الذي يحصل عليه الحجاج إلى بيت المقدس(٨٠).

ويلاحظ في أمر نشأة أماكن الحج الداخلية في الحبشة أمرين، الأول منهما أن تلك المناطق المقدسة كانت مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بالسلطة الملكية، هذا بلا شك لخدمة الجوانب السياسية. وأما الثاني، فكان مرتبطًا بالجانب الديني؛ فقد أنشاء القديسون أماكنهم المقدسة في

نفس الأماكن التي كانت تكرم فيها الآلهة الوثنية، أي أن أماكن حج النصارى حلت في بعض الأحيان محل أماكن الحج الوثني، وهو ما يعني وجود تأثير كبير للنصرانية في تلك المناطق(٨١).

ورغم أهمية هذا الأمر بالنسبة للكنيسة الحبشية في تلك الظروف الصعبة التي كانت تمر بها، ومع النجاح الكبير الذي حققه رجال الكنيسة في تأكيد قدسية تلك المناطق لدى نصارى الحبشة الذين أخذوا يتوافدون عليها بأعداد كبيرة، إلا أن هذا الأمر فتح الباب على مصراعيه لظهور مناطق كثيرة وصفت بالقدسية في الحبشة، وكذلك ظهرت العديد من الاحتفالات التي لم يكن لها علاقة بتقويم الكنيسة المصرية(٨٢).

ومع صعود جلاوديوس إلى سدة الحكم، ورغم الأزمة السياسية الكبيرة التي مرت بها الحبشة، بدأت بوادر عودة التحالف بين الكنيسة والسلطة كسلاح لوقف المد الإسلامي في أرض الحبشة(٨٣). وعلى هذا الأساس وجه جلاوديوس اهتمامًا كبيرًا للكنيسة ورجالها؛ إذ أيقن أنها سبيله في تحقيق النصر واستعادة مملكته تمامًا كما كانت في الماضي سبيل أسلافه في استعادة العرش(٨٤).

ولما كانت الكثير من الكنائس قد تهدمت، وأُغلق بعضها خلال فترة الصراع بين مملكة الحبشة وسلطنات الطراز الإسلامية(٨٥)، فقد تمكن الإمبراطور من بناء تلك التي تهدمت، وفتح ما أغلق منها. وتبع ذلك عودة الكثير من النصارى الذين فارقوا دينهم إلى الكنيسة من جديد، وذلك بعد أن أدركوا أن هناك قوة كبيرة يمكنها مساندتهم(٨٦). ومن جهته أرجع جلاوديوس تلك الانتصارات التي تحققت إلى دعم الكنيسة له. ويصف كاتب النص الملكي حال الكنيسة في عهد جلاوديوس فيقول: "كانت جميلة مثل بستان مظلل، مثل حديقة على ضفاف نهر، مثل خيام يعقوب وقصور إسرائيل"(٨٧).

وصار للكنيسة على عهد جلاوديوس دور سياسي، فكان الإمبراطور لا يعين أحدًا من حكام المقاطعات في تلك الجهات التي استولى عليها من المسلمين إلا برضا المطران المصري ومباركته(٨٨). ويرى الباحث أن هذا الأمر كان مهمًا جدًا سواء بالنسبة للإمبراطور أم للمطران؛ إذ حرص كل منهما على أن يتولى تلك الجهات ممن لهم ارتباط وثيق بالكنيسة، مما يساعد كثيرًا في استعادة الكنيسة لمكانتها في تلك الجهات التي عانت الكنيسة فيها من ضعف شديد.

ولما بدأ جلاوديوس في تأسيس مدينة جديدة لتكون عاصمة لمملكته[٨٩] حظيت الكنيسة باهتمام كبير، فأوكل إلى رجال الدين في قصره تعيين المكان المناسب لبناء الكنيسة. وجريًا على عادة آباء الكنيسة فقد أخذ رجال الدين قبل الانتهاء من بناء الكنيسة في اختيار الكهنة والشمامسة الذين يمكنهم القيام بالعمل بنشاط في سبيل النصرانية[٩٠].

خامسًا- الجهود اليسوعية وهوية الكنيسة الحبشية في عهد الإمبراطور جلاوديوس

بدأت الجهود الأوروبية في الحبشة منذ فترة طويلة[٩١] قبل وصول بيدرو دي كوفلهام(Pedro de Covilham) إلى أرض الحبشة سنة(٩٠١هـ/١٤٩٥م)، كأول أوروبي يتصل بشكل مباشر بأرض الحبشة. كما كان الرهبان الفرنسكان هم طليعة سفراء البابا في روما إلى الحبشة آنذاك[٩٢]. وقد أثمر وجودهم في تمهيد أرض الحبشة لمن جاء من بعدهم، فبعد نحو واحد وأربعين عامًا من ذلك التاريخ وصلت البعثة اليسوعية إلى الحبشة سنة(٩٤٣هـ/١٥٣٦م)[٩٣]. ومع وصول المساعدات العسكرية البرتغالية أرض الحبشة سنة(٩٤٨هـ/١٥٤١م) بدأ اليسوعيون في خطواتهم الفعلية لاختراق كنيسة الحبشة الأرثوذكسية[٩٤]، فبذلوا جهودًا حثيثة تهدف إلى تحويل الأحباش عن مذهبهم الأرثوذكسي الموافق لمذهب الكنيسة المصرية[٩٥]، ورغم استجابة بعض ملوك الحبشة لهذا الأمر إلا أن موافقتهم لم تكن من قبيل التخلي عن مذهبهم بقدر ما كانت محاولة لكسب تأييد ومساعدة القوى الأوروبية في صراعهم مع القوى الإسلامية في أرض الحبشة، كما كان الهدف نفسه موجودًا لدى القوى الأوروبية، وذلك لصد القوى الإسلامية المتنامية على أطراف أوروبا الشرقية[٩٦].

ولما وصل البرتغاليون أرض الحبشة لمساعدة الأحباش في التصدي للقوى الإسلامية لم يغب عن ذهنهم ذلك الأمر، فجددوا التواصل بين ملوك الحبشة وباباوات روما، فاصطحب أحد البرتغاليين المقيمين في الحبشة في عهد الملك إسكندر(Eskender) (٨٧٦-٩٠٠هـ/١٤٧١-١٤٩٤م) وفدًا حبشيًا إلى روما عام ٨٨٦هـ/١٤٨١م، وقد جسدت الأعمال الفنية لفناني روما زيارة ذلك الوفد لبلادهم في مجموعة من الجداريات[٩٧].

وكان هدف تلك الزيارة مرتبطًا بقدر كبير بالكنيسة الحبشية وموقفها من كنيسة روما، فنتج عن تلك الزيارة الاعتراف من جانب الأحباش بكنيسة روما، وسيادة البابا والتزام طاعته،

كما طلب الوفد من البابا إرسال رجال الدين الملكانيين إلى الحبشة لإرشاد الأحباش إلى الإيمان المسيحي الحقيقي(٩٨).

ولتحقيق الأهداف البرتغالية على الصعيد الديني في الحبشة تأسست جمعية يسوع في عام ٩٤٧هـ/١٥٤٠م التي كانت تهدف إلى استعادة الولاءات اللاهوتية والسياسية لكنيسة روما وللقوي الأوروبية، ونظر الساسة البرتغاليون إلى الحبشة على أنها أمة مسيحية محاصرة من جانب المسلمين، وأن الفضل في إنقاذها على الصعيد العسكري إنما يرجع للبرتغاليين(٩٩).

وأما رجال الدين الكاثوليك فقد رأوا أن انتصار الملك جلاوديوس على القوى الإسلامية اعتمادًا على المساعدة البرتغالية يعد فرصة ثمينة لا يجب التفريط فيها لبدء حملة جديدة لتحويل الأحباش إلى المذهب الكاثوليكي، وربط كنيستهم بكنيسة روما(١٠٠)، ولذا حاول أعضاء الجمعية سالفة الذكر الوصول إلى الحبشة وتنفيذ أوامر البابا في روما التي تقضي بضرورة ربط الكنيسة الحبشية بكنيسة روما، وظهر ذلك جليًا في أواخر عهد الإمبراطور لبنا دنجيل(١٠١).

ولتحقيق أهداف البابوية في الحبشة عمل رجال الدين في اتجاهين متوازيين، الأول منهما –والذي بدأ مبكرًا– وهو دراسة اللغتين الجعزية –لغة الكنيسة الحبشية– والأمهرية –لغة الدولة– وحققوا في ذلك تقدمًا كبيرًا، كما درسوا جيدًا التاريخ الحبشي القديم، ولاسيما فترة أكسوم، وجمعوا الكثير من مصادر التاريخ الحبشي التي كتبها الكتَّاب اليونان والمسلمون. بينما تمثل الاتجاه الثاني في محاولة رجال الدين الكاثوليك التأثير على عقيدة الأحباش(١٠٢)، وبدأت حملتهم في هذا الاتجاه بوضع أحد رجالهم تحت طاعة مطران الكنيسة الحبشية، وفي ذات الوقت قاموا بتكريس اثنين من رجالهم كأساقفة في الحبشة؛ وذلك تمهيدًا لأن تؤول إليهم رئاسة كنيسة الحبشة في حال وفاة مطرانها المصري، وعدم قدرة ملك الحبشة على استقدام مطران آخر من مصر ليترأس الكنيسة الحبشية(١٠٣).

ولكن الراجح أن تلك الجهود لم تثمر على المستوى الشعبي شيئًا، فقد واجه اليسوعيون صعوبة بالغة في تحويل الشعب عن المذهب الأرثوذكسي؛ وذلك لارتباط الأحباش الشديد بعقيدتهم(١٠٤)، وتمسكهم بوجود المطران المصري على رأس كنيستهم، كما أن جون بيرموديز (John Bermudez) الذي حاول الملك لبنا دنجيل في عام ٩٣٧هـ/١٥٣٠م أن يقنع المطران المصري بتعيينه خليفةً له(١٠٥)، انطلق بعدها في سفارة إلى البرتغال، وعُين خلال

زيارته لأوروبا أسقفًا لكنيسة الحبشة من قبل البابا عام ٩٤٥هـ/١٥٣٨م، فأعلن نفسه راعيًا للكنيسة الحبشية في أعقاب وفاة مطرانها، لكنه لم يلق أي تعاون من قبل رجال الدين الأحباش، ولم يُسمح له بتكريسهم قساوسة يخدمون النصرانية في أرجاء الحبشة؛ حيث رأوا فيه جهلاً بالأمور الدينية، ولذا قُصر دوره على الرعايا الأوروبيين المقيمين في الحبشة(١٠٦).

ولم يقف الأمر عند حد بيرموديز وحده، بل ارتبط بشخصية العديد من رجال الدين الكاثوليك الذين وصلوا إلى الحبشة؛ إذ لم يكونوا على قدر المسئولية الملقاة على عاتقهم، فتعاملوا مع رجال الدين الأحباش بازدراء شديد، بل وصل الأمر إلى حد التعالي والعنف، هذا فضلاً عن طعنهم في عقيدة الأحباش، ووصفها بأنها عقيدة فاسدة؛ لأن الأحباش احتفظوا في احتفالاتهم بالعديد من الممارسات اليهودية، وهو ما أدى إلى تمكن البغض تجاههم في نفوس جميع طبقات المجتمع الحبشي(١٠٧).

وفضلاً عن هذا فإن تحركات الإرساليات اليسوعية إلى الحبشة واجهت هي الأخرى صعوبة كبيرة في الوصول إلى وجهتها؛ وذلك بفضل الرقابة الصارمة التي فرضها العثمانيون على البحر الأحمر، وإلقاء القبض على بعض أفراد تلك الإرساليات وقتل البعض الآخر(١٠٨). وأما الذين نجحوا في الوصول إلى مملكة الحبشة، فقد مارسوا أعمالهم دون أن يحققوا نجاحًا يوازي الجهود التي بذلوها في ذلك السبيل(١٠٩).

ويعرض لنا هنا سؤال منطقي عن ماهية موقف الملك جلاوديوس تجاه محاولات رجال الدين الكاثوليك ربط كنيسة الحبشة بكنيسة روما؟

إن الأوضاع التي مرت بها مملكة الحبشة النصرانية أواخر عهد الملك لبنا دنجيل وبداية عهد الملك جلاوديوس تؤسس لقبول ملوك الحبشة فكرة الارتباط بكنيسة روما عوضًا عن كنيسة الإسكندرية، ولكن الواقع ينافي ذلك، ولا سيما في عهد جلاوديوس الذي رفض ذلك الأمر بشدة، بل كان حازمًا حيال تدخل الكاثوليك في شئون الكنيسة الحبشية. ورغم ذلك كان أمل بيرموديز كبيرًا في أن يغير جلاوديوس موقفه، ولذا خاض الكثير من المناقشات اللاهوتية سواء مع الملك أم مع رجال الدين الأحباش، وتمكن بحسب دي لاسي أوليري (De Lacy O'Leary) من الخروج فيها منتصرًا، غير أنه لم يتمكن من تحويلهم عن عقيدتهم الأرثوذكسية(١١٠).

ولما تزايدت تدخلات الكاثوليك على ذلك النحو في شئون الكنيسة الحبشية اتخذ الملك عدة إجراءات صارمة ضدهم، فقام سنة (٩٦٤هـ/١٥٥٦م) بطرد عدد منهم من أرض الحبشة، وتطور الأمر فيما بعد إلى منعهم من دخول الحبشة[١١١]، فانتابهم إحساس بأن أبواب تلك البلاد قد أوصدت في وجوههم إلى الأبد[١١٢]، كما قطع الاتصال بالقوى السياسية والروحية في أوروبا، فلم يرد على رسائل ملك البرتغال والبابا في روما بشأن اعتماد بعثتهم الدينية في الحبشة، وأخيرًا أعاد الاتصال بالقاهرة لطلب مطران جديد من كنيسة الإسكندرية لرعاية كنيسة الحبشة[١١٣].

وكان موقف البطريرك السكندري إيجابيًا حيال ذلك، فقام على الفور بتعيين أحد الرهبان المصريين يدعى يوسف (٩٥٤-٩٥٨هـ/١٥٤٧-١٥٥١م) مطرانًا لكنيسة الحبشة، فاستقبله الأحباش استقبالاً كبيرًا باعتباره الأب القانوني لكنيسة الحبشة، في حين تم تجاهل بيرموديز تمامًا من قبل الأحباش[١١٤].

كانت تلك الواقعة فاتحة جديدة للعلاقات بين الكنيسة الأم في مصر وكنيسة الحبشة بعد فترة من انقطاع العلاقات بينهما؛ وذلك على خلفية فترة الحروب الطويلة التي كانت تمر بها الحبشة، إذ لم يدع البطريرك السكندري كرسي مطران الحبشة فارغًا بعد وفاة الأب يوسف ٩٥٨هـ/١٥٥١م، فسرعان ما عين الأب بطرس الخامس خليفة له، وذلك رغم احتجاجات بيرموديز الذي كان يعد نفسه رئيسًا شرعيًا لكنيسة الحبشة، وهو ما دفع ملك الحبشة إلى إلقاء القبض عليه وسجنه في أحد القلاع الجبلية ثم طُرد إلى خارج الحبشة[١١٥].

وعلى الجانب الآخر لم تكن تلك هي المحاولة الأخيرة من قبل البابا في روما لتحويل الأحباش عن عقيدتهم الأرثوذكسية، ففي عام ٩٦٦هـ/١٥٥٨م عين البابا الأب أندرو أوفيدو(Andrew Oviedo) أسقفًا جديدًا لكنيسة الحبشة، ورغم استقباله بشكل جيد من قبل الملك جلاوديوس، إلا أن أوفيدو سرعان ما تأكد من تمسك الأحباش بعقيدتهم. غير أن الأخير لم يتعلم من أخطاء سابقيه، فطعن هو الآخر في عقيدة الأحباش، وهو ما دفع ملك الحبشة لعقد مناظرة جديدة أعلن فيها تمسكه بالعقيدة الأرثوذكسية التي رسختها مجالس نقية عام ٣٢٥م وأفسس عام ٤٣١م، وكذا الإلتزام بالشراكة التقليدية مع كنيسة الإسكندرية[١١٦].

وتعرض أوفيدو لذات المصير الذي تعرض له بيرموديز من قبل، فسجن وهدد بالقتل إذا لم يتوقف عن الدعوة للمذهب الكاثوليكي في الحبشة. لم يقبل أوفيدو تلك الهزيمة وأرسل

إلى أوروبا يطلب المساعدة العسكرية مشيرًا إلى أن هذا هو السبيل الوحيد لتحويل الحبشة إلى الإيمان الكاثوليكي، ولكنَّ فكرة أوفيدو هذه لم تلق استجابة في روما، بل أرسل البابا يستدعيه ورفاقه من العمل في الحبشة(١١٧).

ومما سبق يتضح أن الجهود الرسمية التي بُذلت من جانب البابوية في روما تساندها القوى السياسية قد باءت بالفشل في تلك المرحلة. وهذا يعني أن جهودًا غير رسمية بُذلت في ذات الصدد. فمن هم القائمون عليها، وإلامَ انتهت؟

قامت تلك الجهود على كواهل عدد من الإيطاليين الذي تقاطروا على مملكة الحبشة خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، فاستقروا في الحبشة، وعملوا في عدة مجالات، كالتعليم والصناعة والفنون (الموسيقى والرسم)، أي أنهم لم يكونوا من رجال الدين بالأساس، ولكن احتكاكهم بالمجتمع الحبشي كان كبيرًا(١١٨).

وتزايد ذلك الاحتكاك عبر زواج بعضهم من نساء حبشيات، ومن ثمَّ تركوا بصمات واضحة في المجتمع الحبشي سواء على مستوى العقيدة، فقد نجحوا في نشر المذهب الكاثوليك في محيطهم الاجتماعي، أم على مستوى اللغة، حيث علموا المقربين منهم اللغة الإيطالية(١١٩).

وإذا كانت المحصلة النهائية لجهود البعثة البرتغالية والجهود الفردية للأوروبيين في الحبشة هي الفشل في تحويل الأحباش عن مذهبهم. إلا أنهم لم يخرجوا من الحبشة صفر اليدين؛ إذ ترك عملهم الكثير من المشكلات والبدع في الكنيسة الحبشية. وقد ظهر أثر ذلك في عهد جلاوديوس نفسه(١٢٠)؛ حيث بدأت مناقشات وجدال حول الروح، فأشاعت مجموعة من رجال الدين وجود مخزن للأرواح، فالطفل يأخذ الجسد من الوالدين، وعندما يُنجب الطفل تغرس فيه الروح. غير أن مثل تلك الأفكار الفلسفية لم تكتسب شعبية كبيرة في الحبشة. وكان الجدال الأكثر خطورة في عهد جلاوديوس حول طبيعة السيد المسيح، بدأه اليسوعيون، وتصدى لهم رجال الدين الأحباش يدعمهم الإمبراطور(١٢١).

وفضلًا عما سبق تمخضت الجهود اليسوعية عن ظهور طائفتين خارجتين عن عقيدة كنيسة الحبشة، أما الأولى فعرفت بمدرسة قباط (Qibat) أو الدهن/المسحة، و تتمحور فكرتهم الرئيسة حول مسحة اليسد المسيح، وأنها تمت في معموديته وليس بتجسده كإبن. أما الطائفة الثانية فعرفت بمدرسة تسيجا (Tsegga) أو النعمة، وعرفت كذلك بالولادات الثلاثة

(three births)، وتدور فكرتهم الأساسية كما هو واضح من اسمهم حول ولادة السيد المسيح، فالمسيح عندهم له ثلاث ولادات من الآب، ومن العذراء، ومن الروح القدس[١٢٢].

وهذه الأفكار كلها تخالف مذهب كنيسة الحبشة التي تؤمن أن المسيح ولد وله طبيعة واحدة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أتباع مدرسة تسيجا كانوا هم أكثر الناس معارضة للكنيسة الحبشية وتعصبًا لأفكارهم، ولذا أطلقوا على أنصار الكنيسة اسم كارا (Karra)، وهي كلمة أمهرية تعني(Knife) أي السكين للدلالة على رفضهم أو قطعهم فكرة الولادات الثلاث للمسيح[١٢٣].

ولعل ما ساعد اليسوعيين في عملهم هذا في الحبشة أن بعض التأثيرات الطقسية الرومانية كانت قد دخلت الحبشة في فترات سابقة، وكان أهم تلك التأثيرات كتاب يعرف بالعهد ترجم عن اليونانية، وصار فيما بعد يمثل جوهر القداس اليومي لكنيسة الحبشة[١٢٤]، كما أصبح القسم الأفخارستي[١٢٥] منه جزءًا رئيسًا في احتفالات العذراء. أضف إلى ذلك أنافورا[١٢٦] الرسل الاثنى عشر المستمد من طقوس كنيسة روما[١٢٧]. ولكن كيف وصلت تلك الأعمال إلى كنيسة الحبشة؟

إن ما ساعد في وصول تلك الأعمال إلى كنيسة الحبشة وترجمتها هم الحجاج الأحباش، والرهبان الذين ترددوا على بيت المقدس، بل واستقر الكثيرون منهم لفترات طويلة في المشرق، وتجولوا في بعض المناطق المجاورة ، واختلطوا كذلك بغيرهم من النصاري، ولاسيما القادمين من أوروبا، ومن ثمّ نقلوا تلك الأعمال إلى الحبشة عند عودتهم إليها[١٢٨]. و لكن لا يمكن أن نقول أن الحبشة وحدها هي التي تأثرت بالغرب؛ إذ أسفر الاتصال الثقافي بين الأحباش والأوروبيين عن قدر مهم من المعرفة المتبادلة شملت جوانب مختلفة في الأدب والجغرافيا واللغة، غير أن أهمها بالنسبة للحبشة كان يخص الجانب اللاهوتي[١٢٩].

وكان من أسباب وقوع مثل تلك التأثيرات اللاهوتية على العقيدة الحبشية عزلة كنيسة الحبشة وانقطاعها لفترات طويلة عن الكنيسة الأم في الإسكندرية، فاعتمد الأحباش على مصادر داخلية كانت ممزوجة بتأثيرات يهودية. كما استقبلوا مثل تلك الأفكار السالفة الذكر وتفاعلوا معها[١٣٠].

ولكن رغم وجود تلك التأثيرات التى ساعدت رجال الدين الكاثوليك إلا أن محصلة عملهم كانت الفشل في تحويل الكنيسة الحبشية إلي المذهب الكاثوليكي، فما هي أسباب ذلك؟

كان لذلك الفشل الذي مني به الأوروبيون عدة أسباب، **أولها** مرتبط بالسلطة السياسية فالبرتغاليون الذين قدموا إلى الحبشة لمساعدة الأحباش في حربهم ضد مسلمي الزيلع ظهرت نواياهم الحقيقية الرامية للتدخل في شئون كنيسة الحبشة، ولذا أقصاهم الإمبراطور عنه. و**ثانيها** أن رجال الدين والرهبان من اليسوعيين لم يتمكنوا من تحقيق اتصال فعال مع عامة الشعب الحبشي الذي تمسك وبشدة بالعادات المميزة لنصرانيتهم، كتقديس يوم السبت وجعله مساويًا في قدسيته ليوم الأحد، والختان، والصوم، وتحريم أكل لحم الخنزير(١٣١). كما لا يجب أن ننسى الدور الكبير الذي لعبه رجال الدين الأحباش في التصدي لأطماع اليسوعيين في كنيسة الحبشة، وذلك بالتزامهم الشديد بالإيمان الأرثوذكسي(١٣٢).

أما **ثالث** تلك الأسباب فهو مرتبط بفترة الصراع الطويلة التي عايشها الأحباش مع القوى الإسلامية، وهو ما دفع كثير من ملوك الحبشة إلى فرض إجراءات صارمة على كل ما هو غير نصراني، بل على كل ما هو غير نصراني أرثوذكسي، ولا سيما في عهد زرء يعقوب (Zara Yaqob) (٨٣٨-٨٧٣هـ/١٤٣٤-١٤٦٨م)، ومن ثمَّ فالعداء لما هو غير أرثوذكسي مترسخ في أذهان عامة الشعب الحبشي(١٣٣).

وأما **رابعها** فقد كان مرتبطًا بشخصية بعض المنصرين اليسوعيين الذي وصلوا إلى الحبشة، وغيرها من المناطق، فقد كان الغالب عليهم هو التعالي والغرور على الثقافات غير الأوروبية. ويصف تلك الحالة ديفيد لفنجستون (David Livingstone) وهو أحد المنصرين البرتستانت حين يشير إلى أن اليسوعيين بعد عدة قرون من وجودهم في القارة الأفريقية لم يتركوا أثرًا دائمًا بين الأفارقة الذين تحولوا إلى النصرانية(١٣٤)، فما بالنا بمحاولات تحويل النصاري على غير مذهبهم إلى المذهب الكاثوليكى.

وفضلًا عن ذلك استخدامهم القسوة ضد السكان الأصليين، فقد ارتكب جون بيرموديز الذي كان على رأس البعثة اليسوعية بعض الأعمال العنيفة ضد الأحباش، فأحرق النساء اللاتي يمارسن السحر. كما عامل بقسوة رجال الدين المؤيدين للمطران المصري، بل وصل به الأمر إلى إصدار قرارات الحرمان الكنسي ضد بعضهم(١٣٥). كما أن بعض رجال البعثة عبثوا بثوابت الكنيسة الحبشية، فحاولوا تغير صيغة التقويم الجريجوري الذي نقله الأحباش عن الكنيسة المصرية، وهو ما يترتب عليه تغييرات كبيرة في احتفالات الكنيسة الحبشية وأعيادها. والأهم من ذلك أن اليسوعيين قد رغبوا في تعميد الأحباش من جديد رغم أنهم

نصارى،؛ وذلك بحجة أن الصيغة الوحيدة الصالحة للتعميد هي تلك الخاصة بكنيسة روما، وقد زاد ذلك من غضب الأحباش(١٣٦).

ويأتي **خامسها** أيضًا مرتبطًا برجال الدين اليسوعيين، إذ ارتبطوا كما أسلفنا بشكل كبير بالسلطة السياسية وتوافقوا معها في تحقيق أهدافها غير الدينية، والتي كان على رأسها التوسع التجاري الذي حاول الساسة أن يسير موازيًا لتقدم النصرانية، وهذا بدوره حقق أمرين، الأول منهما هو توسع الحركة اليسوعية، وجعلها أكثر ارتباطًا بالمجتمع البرتغالي. أما الثاني فهو توسع البرتغال فيما وراء البحار(١٣٧).

وانعكس كل ذلك على نظرة الأحباش إلى رجال الدين الكاثوليك، فكرهوا أولئك الدخلاء وتدخلاتهم في أمور العقيدة، ولذا زاد اعتصام الأحباش بكنيستهم ومذهبهم الأرثوذكسي. ليس هذا فحسب بل لما ضعفت شوكت اليسوعيين تعرضوا للاضطهاد والطرد من الحبشة(١٣٨)، فنُفي بيرموديز نفسه إلى أحد الأديرة البعيدة، وظل محبوسًا فيه إلى أن تمكن من الهرب بعد فترة طويلة قضاها في منفاه. ولكنّ الصورة التى رسخت في أذهان الأحباش حول تلك البعثة وأهدفها لم تمكن خلفه أندرية أوفييدو (Andre Oviedo) الذي وصل إلى الحبشة سنة (٩٦٤هـ/١٥٥٦م) من تحقيق أي نجاح يذكر(١٣٩). ويؤكد الأب جيروم لوبو(Jerom Lobo) وهو من الآباء اليسوعيين على أن التجربة اليسوعية في الحبشة كانت تجربة فاشلة، ويؤكد كذلك أن الجيش الذي وظف لتحويل كنيسة الحبشة قد دفع ثمنًا باهظًا خلال تلك التجربة(١٤٠).

وتعد المرأة الحبشية أحد الأسباب الرئيسة في فشل الجهود اليسوعية، فقد أسلفنا أن اليسوعيين قد حققوا قدرًا من النجاح في أوساط الطبقة الأرستقراطية. ولكنّ هذا الأمر كان مرتبطًا بالرجال دون النساء من تلك الطبقة. فقد شكلت النساء عقبة كبيرة أمام تقدم الكاثوليكية في الحبشة؛ إذ رفضن بل قاومن ما أطلقن عليه الدين الأجنبي، وعم الرفض كافة النساء في المجتمع الحبشي، الزوجات والبنات، وحتى المحظيات(١٤١). ولكن رغم فشلهم آنذاك إلا أنهم تركوا بذور الفتنة في كنيسة الحبشة، وقد تعاظمت تلك الفتنة في العهود اللاحقة(١٤٢). على هذا النحو فشلت الجهود اليسوعية ليس في الحبشة فحسب، بل فشلت في معظم المناطق الأفريقية التى قصدها اليسوعيون في أفريقيا جنوب الصحراء(١٤٣).

الخاتمة:

على هذا النحو كان العمل اليسوعي في أرض الحبشة، وهكذا كانت أوضاع كنيستها في عهد الملك جلاوديوس، فبرغم أنها واجهت صعوبات كبيرة على صعيد الصراع الإسلامي النصراني الذي امتد على مدى عدة قرون، إلا أن الصعوبة الأكبر التي واجهتها كنيسة الحبشة والتي برزت على نحو كبير في عهد جلاوديوس تمثلت في وجود رجال الدين الكاثوليك في الحبشة ومحاولتهم التدخل في شئون كنيستها، بل والسعي إلى طمس هويتها الدينية الراسخة منذ القرن الرابع للميلاد. وقد تمخض البحث عن عدة نتائج على النحو التالي:

أظهر البحث أن كنيسة الحبشة عانت من ضعف شديد على صعيد القيادة والنشاط منذ أواخر عهد الملك لبنا دنجيل وبداية عهد خلفه الملك جلاوديوس.

بين البحث أن ضعف اتصال كنيسة الحبشة بالكنيسة الأم في مصر كان من الأسباب التى أعطت فرصة لليسوعيين للعمل بأريحية كبيرة عندما قدم الأوروبيون خدماتهم للحبشة في خضم الصراع الإسلامي النصراني في أرض الحبشة.

أكد البحث أن ضعف الاتصال بين الكنيسة الأم في مصر وكنيسة الحبشة كان خارجًا عن إرادتيهما، وأن الكنيسة المصرية لم تتقاعس عن أداء دورها تجاه الكنيسة الحبشية، إذ لم يقف ضعف الاتصال بين الكنيستين حائلًا دون تقديم يد العون من بطاركة الإسكندرية لإخوانهم في الحبشة كلما واتتهم الفرصة.

أظهر البحث كذلك أن الكنيسة الحبشية استعادت نشاطها جزئيًا في عهد جلاوديوس، وأن رجالها كما وقفوا موقفًا صامدًا أمام التوسع الإسلامي في أرض الحبشة وقفوا موقفًا لا يقل صمودًا أمام التدخلات اليسوعية في شئون كنيستهم.

أكد البحث أن جهود رجال الدين اليسوعيين في تحويل كنيسة الحبشة من المذهب الأرثوذكسي إلى المذهب الكاثوليكي، وإن كانت قد باءت بالفشل في عهد الإمبراطور جلاوديوس إلا أنها تركت بذورها التي أثمرت في وقت لاحق.

أكد البحث أن الارتباط العضوي بين القوي السياسية والبعثات اليسوعية كان أيضًا من أسباب فشل تلك البعثات في تحقيق أهدافها في أفريقيا بصفة عامة، وفي الحبشة بصفة خاصة.

أثبت البحث كذلك أن الجهود الفردية التى بذلها بعض الأوروبيين الذين وصلوا إلى الحبشة واستقروا فيها لفترات طويلة كان لها مردودًا إيجابيًا في عمل البعثات اليسوعية الرسمية التي قدمت إلى الحبشة فيما بعد.

توصل البحث إلى أن انشغال بعض رجال الدين اليسوعيين في كثير من الأوقات بالجوانب الاقتصادية، وممارستهم العمل التجاري، ولاسيما في تجارة الرقيق كان أحد أسباب فشلهم في تحقيق أهداف البابوية في الحبشة.

بين البحث كذلك أن قوة إيمان الإمبراطور جلاوديوس بمذهبه لعب الدور الأبرز في إفشال مخططات البابوية والقوي السياسية من ورائها في تحويل كنيسته إلى المذهب الكاثوليكي وربطها كتابع بكنيسة روما، ساعده على ذلك تمسك الشعب الحبشي بصلته وإيمانه الذي ترسخ لديه منذ القرن الرابع للميلاد.

الملاحق

أولًا- الصور

صورة (١)

تمثل القديس يوحنا في الكنيسة كونه رجل دين

Source: Brooks, M. E., Op. Cit., pp. 192-193.

صورة (٢)

تمثل القديس يوحنا على عرش الحبشة كونه حاكم

Source: Brooks, M. E., Op. Cit., pp. 192-193.

ثانيًا- الخرائط

خريطة(١)

سلطنات الطراز الإسلامية شرقي وجنوب شرقي مملكة الحبشة النصرانية

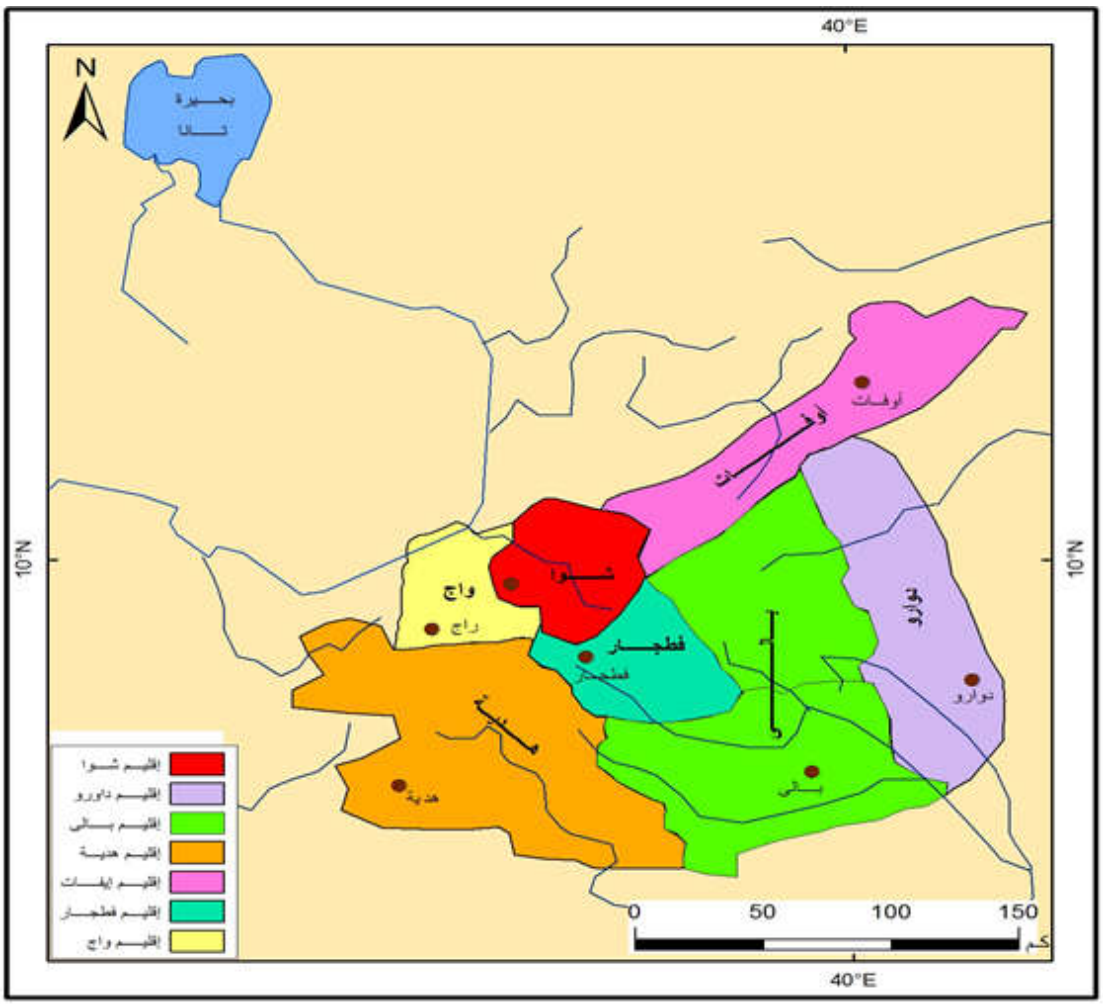

Source: Carwford: Antiquity A quarterly review of Archaeology, p, 232.

خريطة (٢)

توضح المناطق المُتَخَيَلَة في أوروبا لمملكة القديس يوحنا

والجهود البابوية في أفريقيا جنوب الصحراء.

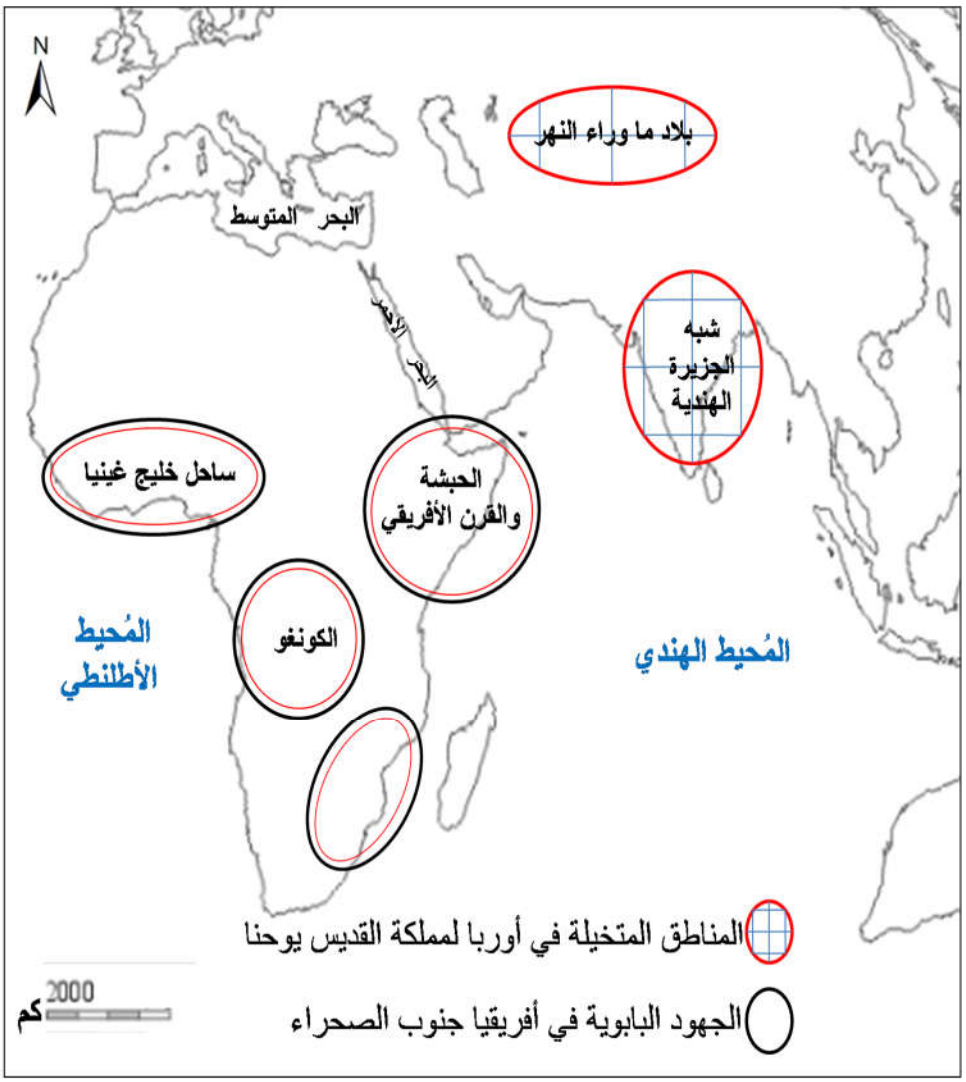

خريطة من عمل الباحث اعتمادًا على

Alden, D., Op. Cit., p. 54, 67-77; Brooks, M. E., Op. Cit., pp. 80-84-91-92.

الهوامش

(١) ولد أحمد بن إبراهيم سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م في مدينة هُوبّت الواقعة شمالى مدينة هرر، وتربي فيها تربية إسلامية رفيعة المستوى، وما أن وصل إلى سن الشباب حتى انخرط في الجيش الإسلامي، ونظرًا لمهارته وتفوقه في فنون القتال ترقى سريعًا حتى عينه قائد الجيش (الجراد أبون) نائبًا له، ولم يلبث أن قتل الجراد أبون في الصراعات الداخلية التى نشبت في تلك الفترة. وبعد مقتل قائد الجيش رشُح أحمد بن إبراهيم لتولى قيادة الجيش، ومنذ أن تولى هذا المنصب التف حوله عدد كبير من الأنصار خاصة من الفقهاء والعلماء، وكان الإمام عند حسن الظن به فقد قاد جيشه إلى تحقيق العديد من الانتصارات ضد مملكة الحبشة، ومنذ أن تولى قيادة الجيش أطلق عليه الفقهاء لقب الإمام أحمد إمام المسلمين، في حين أطلق هو على نفسه لقب الغازى، وقد توفي الإمام أحمد شهيدًا في ساحة المعركة عام ٩٤٩هـ/١٥٤٣م في معركة وينياديجا قرب بحيرة تانا. انظر: عرب فقه، فتوح الحبشة المسمى بهجة الزمان، مخطوط تحت رقم٩٦٣ تاريخ قصصي، قسم المخطوطات، المكتبة المركزية، جامعة الرياض، ص٥-٦؛ أحمد جمعالة محمد: فتوحات الإمام أحمد بن إبراهيم (جراى) ١٥٢٧-١٥٤٣، مجلة المؤرخ العربى، العددان٤٢،٤١، الأردن، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٥٤-٦٠؛ الأمين عبدالكريم، الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية في إثيوبيا، دراسات أفريقيا، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، ١٩٨٥، عدد١، ص٥٥؛ جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٥، ص١٣١.

(٢) **جمعية يسوع** هي مؤسسة رهبانية أسسها إغناطيوس دي لويولا (Ignatius De Loyola) الطالب في جامعة باريس مع مجموعة من رفاقه سنة(٩٤١هـ/١٥٣٤م)، وقيل سنة(٩٤٣هـ/١٥٣٧م)، وحصلت الجمعية على تأييد من البابا سنة(٩٤٧هـ/١٥٤٠م). قامت تلك الجمعية على ثلاثة أسس رئيسة هي الفقر، والعفة، والطاعة، ولا سيما لقداسة البابا في روما. بدأت الجمعية نشاطها بعد تسع سنوات من تأسيسها، وركز رجالها الذين عرفوا باليسوعيين على التعليم كوسيلة لتحقيق أهدافهم التنصرية، ولذا أسسوا العديد من المدارس ثم الجامعات في المجتمعات التي وصلوا إليها. وقد غطى النشاط اليسوعي مساحات واسعة في العالمين القديم والجديد. للمزيد راجع:

Costa, C. J. & et al. "Companhia de Jesus no século XVI: suas influências nos territórios Português, Indiano e Brasileiro, Congresso Internaional Iv de Historia, 25-27 Desetembro, 2013, Pp 1-12; **See also:** Renich, K. L., The life and methods of Matteo Ricci, Jesuit missionary to China, 1582-1610, Thesis Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in History, University of Illinois, 1914, p 1.

(3) Martin, E. G., "Mahdism and Holy Wars in Ethiopia before 1600." *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies*. Seminar for Arabian Studies, held at The Middle East Centre, Cambridge on 28th and 29th June, 1973, (1974, January), p. 112.

(4) Coppet, M., L'histoire de l'Éthiopie." *Journal des Savants,* 10.1, 1929, p. 447.

(٥)عمر محمد أبو القاسم إبراهيم، القوى الإسلامية بقيادة سلطنة زيلع وتصديها لمملكة الحبشة المسيحية خلال الفترة ما بين (٨١٥-٩٧٧هـ)، ع٢، المجلة الليبية للدراسات، دار الزاوية للكتاب، ليبيا، ٢٠١٣، ص٢١٦-٢١٧. وللمزيد من التفاصيل حول هذا الصراع راجع:

Basset, R. M. Études su l histoi e de l Éthiopie (extrait du Journal Asiatique), 1882, pp. 103-109.

(٦) معركة واينا ديجا واحد من أهم المعارك الفاصلة في تاريخ حركة الجهاد الإسلامي في قلب الهضبة الحبشية، فقد استشهد خلالها الإمام أحمد بن إبراهيم جران مما كان له تأثير كبير في مسيرة حركة الجهاد التي لم تعد بذات القوة، وذلك بعد مغادرة الكثير من رجال الدين الذين ساندوا الإمام في حركته إلى مناطق أخري في شرق أفريقيا. انظر: Martin, E. G., Op. Cit., Pp.112-113.

(7) Ibid, p.112.
(8) Martin, E. G., Op. Cit., p. 113.
(٩) عمر محمد أبو القاسم إبراهيم، مرجع سابق، ص٢١٧-٢١٨.
(١٠) عرب فقه، مصدر سابق، ص١٠. ب.
(١١) عمر محمد أبو القاسم إبراهيم، مرجع سابق، ص٢١٨.
(12) Abbink, J. An historical-anthropological approach to Islam in Ethiopia: issues of identity and politics. *Journal of African Cultural Studies*, Vol.11, No.2, 1998, p. 114.
للمزيد من التفاصيل حول الدمار الذي حل بمملكة الحبشة جراء تلك الحرب راجع:
(13) Aregay, M. W., Military Elites in Medieval Ethiopia. *Journal of Ethiopian Studies,* Vol. 30, No.1, 1997, p. 55.
(14) Molvaer, R. K. The Tragedy of Emperor Libne-Dingil of Ethiopia (1508-1540). *Northeast African Studies*, Vol.5, No.2, 1998, pp. 31-34.
(15) Molvaer, R. K., Op. Cit., p. 35; Basset, R. M., Op. Cit., p. 109
(16) Rubenson, S. Conflict and Environmental Stress in Ethiopian History: Looking for Correlations. *Journal of Ethiopian Studies*, Vol.24, 1991, Pp. 75-76.
(17) Braukämper, U. Islamic Principalities in Southeast Ethiopia between the Thirteenth and Sixteenth Centuries (Part II). *Ethiopianist Notes*, Vol.1, No.2, 1977, pp. 42-29.
(18) Rubenson, S. Op. Cit., pp. 76-77.
(١٩) انظر الخريطة(١) سلطنات الطراز الإسلامية شرقي وجنوب شرقي مملكة الحبشة النصرانية.
(20) Rubenson, S. Op. Cit., pp. 118-119.
(21) Gascon A., Hirsch Bertrand, Les espaces sacrés comme lieux de confluence religieuse en Éthiopie, *Cahiers d'études africaines*, vol. 32, n°128, 1992, p. 694.
(22) Abbink, J. OP. Cit., pp. 119-120; Gascon A., Hirsch Bertrand, Op, Cit., p. 694.
(23) Loc. Cit; Gascon A., Hirsch Bertrand, Op, Cit., Pp. 699-700.
(24) Henze, P. B., Ethiopia, the Wilson Quarterly, Vol. 8, No. 5 (Winter, 1984), p. 109.
(٢٥) كان لتحركات القبائل الصومالية بالغ الأثر ليس في هضبة الحبشة وحدها، وإنما في كل منطقة شرقي أفريقيا من شواطيء خليج عدن وحتى منطقة هضبة البحيرات، وتعبر التقاليد الشفهية بصورة أكبر من المصادر المكتوبة عن تأثير تلك القبائل في المناطق سالفة الذكر. انظر:
Lewis I. M., The Somali Conquest of the Horn of Africa, *Journal of African History*, Vol. 1, No. 2, 1960, Pp. 213-214, 224.
(26) Davis, A. J. "The Sixteenth Century Jihād In Ethiopia and the Impact on Its Culture (Part One)." *Journal of the Historical Society of Nigeria,* Vol. 2, No.4, 1963, p. 569.
(27) Lewis I. M., Op, Cit., Pp. 223-224.
(28) Williamel, O., *Texte Ethiopien Claudius Rio d'Ethiopie*, Librairie Emile Bouillon, Paris,1895, p. 2, 122-123.
(29) Williamel, O., Op. Cit., p. 126.

(30) Foti, C., La Cronaca abbreviata dei Re d'Abissinia in un manoscritto di Dabra Berhan di Gondar, *Rassegna di Studi Etiopici* , gennaio-aprile Vol. 1, No. 1, Pp. 100-101
(31) Ibid, P. 100.
(32) Caquot A.. Les «Chroniques abrégées» d'Éthiopie. *Annales d'Ethiopie*, Volume 2, année 1957. p. 188.
(33) Williamel, O., Op. Cit., Pp. 143-144.
(34) Ibid., p. 124, 140.
(35) Henze, P. B., Op. Cit., p. 109.
(٣٦) كان الصراع بين مملكة الحبشة والسلطنات الإسلامية، وتفوق الأخيرة دافعًا لملوك الحبشة للاتصال بالغرب الأوروبي للحصول على مساندته. وفي الغرب كانت تلك المساعدات مقرونة بمحاولة تحويل الأحباش عن مذهبهم وربط كنيستهم بكنيسة روما عوضًا عن الإسكندرية، وكان الملك زرء يعقوب هو أكثر ملوك الحبشة استجابة لذلك الأمر حين شارك في مؤتمر فلورنسا عام ٨٤٥هـ/١٤٤١م الذي عقد لتوحيد الكنائس المسيحية في العالم. انظر: Budge, W. E., *A history of Ethiopia, Nubian &Abyssinia*, London, 1928, p. 304.، ويشير موردخاي أبير إلى أن محاولة زرء يعقوب هذه لم تكن إلا للحصول على المساعدات العسكرية الأوروبية. Abir, M., *Ethiopia and the Red Sea*, Frank Cass, London, 1980, p. 33, 64.، وتؤكد وثائق البابوية في أوروبا أن هذا الاتصال لم يكن الأول بين الحشبة والغرب الأوروبي؛ إذ تشير تلك الوثائق إلى أن نحو اثني عشر من باباوات روما قد راسلوا ملوك الحبشة في الفترة من ٥٥٤-٨٢٦هـ/١١٥٩-١٤٢٤م. انظر: قاسم عبده قاسم، علاقات مصر بعالم البحر الأحمر، في أحمد عزت عبد الكريم(البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة)، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٠، ص٧٩.
(٣٧) إحدى السلطنات الإسلامية التي قامت على الأطراف الشرقية لمملكة الحبشة، ويذكر العمري أن صاحب هدية كان من أقوى السلاطين المسلمين في المنطقة، وأكثرهم خيلاً ورجالًا. ومملكة هدية من أقرب السلطنات الإسلامية لحدود الحبشة، واشتهرت بممارسة سكانها للتجارة، ولا سيما تجارة العبيد الخصيان الذين عرفوا في مصر باسم الطواشية. وترجع شهرتهم في هذا المجال لكونهم أكثر الناس خبرة بعلاج العبيد الذين أجريت لهم عملية الخصاء في مدينة وَشلوا الحبشية. للمزيد راجع: العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١، ج٤، ص٣٧-٣٨. انظر خريطة(١) بالملحق.

(38) Braukämper, U. Op. Cit., p. 9.
(39) Chekroun, A., Op, Cit., p. 335.
(٤٠) هو نور بن مجاهد بن علي، ابن أخت الإمام أحمد بن إبراهيم، غير أنه لم يظهر على ساحة الأحداث إلا بعد فترة من استشهاد الأمام أحمد. وتتشابه أحداث توليه قيادة حركة الجهاد الإسلامي كثير مع قصة ظهور خاله؛ فقد كان بعيدًا عن الأنظار يتعبد، بينما كانت هرر تعاني من الاضطراب وجور السلاطين ضد الرعية. وتبدأ هنا قصة توليه السلطة، حيث لجأت إليه امرأة ظلمها السلطان وولده ليساعدها، فذهب معها ليأخذ حقها من السلطان الذي أبى فقتله الأمير نور وقتل ولده الذي قتل ابن المرأة ظلمًا، ثم عاد إلى مغارته، ولكن الناس ذهبوا إليه ونادوا به سلطانًا عليهم. وهنا اشترط عليهم ألا يجلس على العرش فحسب، وإنما يخرج لجهاد الكفار فقبلوا، وكان طليعة رفاقه هم العلماء. انظر:: Chekroun, A., Op, Cit., Pp. 90-92; See also: Haile, G., & Wagner, E., Die Geschichte Nūr b. Muğāhids von Harar oder The History of Aẓe Zär) a Yaʿqob. *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, *139*(1), 1989, Pp. 20-21-55-56
(٤١) محمد عثمان أبو بكر، المثلث العفري في القرن الأفريقي عبر العصور التاريخية، ط١، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ١٩٩٦، ص١٠٩.

(٤٢) سلطنة إسلامية كبيرة قامت في شرقي مملكة الحبشة، وقد أشار كل من العمري والقلقشندي إلى غني تلك السلطنة بفضل عمل أهلها بالتجارة، حتى أنهم قد أوجدوا نوع من العملة عرف عندهم باسم الحَكُنة، وهي عبارة عن أبر من الحديد ليس لها سعر تضبط به، ولكن معاملتهم التجارية كانت تتم بهذه العملة. وكان للسلطنة جيش كبير لا يقل عن جيش هَدْيةَ المقدم ذكرها. انظر: العمري مصدر سابق، ج٤، ص٣٦-٣٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٤م، ج٥، ٣٢٦-٣٢٧. انظر الخريطة(١) بالملحق.

(43) Williamel, O., Op. Cit., pp. 141-142.

(44) Williamel, O., Op. Cit., p. 137.

(45) Ibid, Pp. 146-147.

(46) Abbink, J. OP. Cit., p.114.

(٤٧) عمر محمد أبو القاسم إبراهيم، مرجع سابق، ص١١٩.

(٤٨) جماعة الفرنسسكان أسسها القديس فرنسيس الأسيزي(Francis of Assisi) الإيطالي الذي عاش في الفترة من ١١٣٨/٥٣٣م وحتى ١٢٢٦/٦٢٤م. وكان نظامه الرهباني يستهدف ألا يعيش الرهبان داخل أديرتهم منقطعين للعبادة، وإنما عليهم أن يندمجوا في الحياة العامة لوعظ الناس وإرشادهم إلى الطريق الصحيح. وأما جماعة الدومنيكان فقد أسسها القديس دومينيك(Dominie) الأسباني الذي عاش أواخر القرن ١٢/٦م وأوائل القرن ١٣/٧م ولا تختلف في طريقتها عن طريقة الفرنسسكان، فقد حاول أفرادها وعظ الناس وإرشادهم ضد الهرطقات التى انتشرت في الكنيسة وخارجها. انظر: جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤، ص١٧٥-١٧٦.

(49) Brooks, M. E., *Prester John: a reexamination and compendium of the mythical figure who helped spark European expansion,* Dissertation Submitted as partial fulfillment of the requirements for The Doctor of Philosophy degree in History, The University of Toledo, 2009, pp. 77-80, 98.

(50) Brooks, M. E., Op. Cit., p, 93.

(51) Crawfurd, J., *On the Ethnology of Abyssinia and Adjacent countries*, Transactions of the Ethnological Society of London, Vol. 6, 1886, p. 297.

(52) Brooks, M. E., Op. Cit., pp. 193-196.

انظر صور ١، ٢ في الملحق توضحان أدوار الملك يوحنا وفقا للتصور الذي شاع في أوروبا أواخر القرن ٩هـ/١٥م.

(٥٣) خريطة (٢) الجهود اليسوعية في أفريقيا جنوب الصحراء.

(٥٤) هو واحد من أربعة أبناء للملك جواو الأول(Joao I) والملكة فيليبا(Pilipa) من أسرة أفيز(Aviz)، ولد في سنة(٧٩٧هـ/١٣٩٤م) في عصر دارت فيه رحى الحروب الصليبية في المشرق والمغرب. وتميز بحماسه الشديد لتلك الحرب. فكانت أولى المواجهات التى خاضها وكان مؤثرًا فيها هي الاستيلاء على مدينة سبتة سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م). ولكنّ الأمير كانت له تطلعات كبيرة في مواجهة القوى الإسلامية في ميادين أخرى بخلاف الميدان العسكري، فأضاف إلى المواجهة الجوانب الاقتصادية والدينية. وكان يري في الرحلات الكشفية خير سبيل لتحقيق النصر في كافة الميادين، ولذا أسس في جنوب البرتغال قاعدة اجتذبت الكثير من الجغرافيين، والمغامرين، والبحارة، والتجار، ورجال الدين. وبدأت تنطلق من تلك القاعدة الرحلات الكشفية في سواحل أفريقيا الغربية. استفاد الأمير الذي اكتسب لقب الملاح من الدعم الكبير الذي قدمه باباوات روما الذين أصدروا مراسيم التأييد لحركته الكشفية، ففي سنة (٨٢٣هـ/١٤٢٠م) صدر مرسوم جعل منه مسؤلاً عن وسام المسيح. وفي سنة (٨٦٠هـ/١٤٥٥م) صدر مرسوم آخر لحث ملوك وأمراء أوروبا على مساندة المساعي التى يقوم بها الأمير هنري. كما أُعطي له الحق في ضم الأراضي المكتشفة إلى أملاك أسرة أفيز، الأمر الذي جعله يتمتع بقدرات سياسية ومادية كبيرة جدًا. للمزيد راجع:

Beazley, R., Prince Henry of Portugal and the African crusade of the fifteenth century. *The American Historical Review*, Vol.16, No.1, 1910, Pp. 11-23; Prince

Henry of Portugal and the progress of exploration. *The Geographical Journal*, Vol. 36, No. 6, 1910, Pp. 703-716.

(55) Mkenda, F., Jesuits, Protestants, and Africa before the Twentieth Century. *Encounters between Jesuits and Protestants in Africa* , Brill, 2017, pp. 11-13.

(٥٦) مملكة أفريقية قديمة قامت في جنوب شرقي القارة الأفريقية، وبلغت أوج ازدهارها خلال القرنين ٥-٦/١١-١٢م. واكتسبت تلك المملكة أهمية كبيرة بفضل غناها بمعدني الذهب والنحاس، وكانوا قد تعلموا من أسلافهم طرق استخراجه، ولذا صارت بلادهم مقصد الكثير من التجار، ولا سيما العرب، ونافسهم في ذلك الهنود والصينيين. وبقدر ما استفاد العرب من التجارة في تلك المناطق بقدر ما أفادوها؛ إذ كانت تلك المملكة عرضة لكثير من الهجمات من جانب القبائل المجاورة لهم، فساعدهم العرب في بناء مدن محصنة. وقد تم القضاء على تلك المملكة بشكل نهائي على أيدي قبائل الميتابلي سنة ١٨٣٧م. انظر:

Balsan, F., Ancient gold routes of the Monomotapa kingdom." *The Geographical Journal* 136.2 1970, Pp. 240-246.

(٥٧) **شونا** ليست اسم لشعب فحسب، وإنما يقصد بها الشعب، والأرض التي يقطنها ذلك الشعب، والتى عرفت باسم ماشونالاند(Mashonaland) وكذلك اللغة التى يتحدثها. وشعب الشونا هو أحد ورثة حضارة زيمبابوي العظمى(Great Zimbabwe). ومناطق شعب الشونا ذات أهمية اقتصادية كبيرة، فقد تعددت أوجه النشاط الاقتصادي بين الزراعة والرعي وبعض الأعمال الحرفية والتعدين، ولا سيما تعدين الذهب الذي تبرز اللقي الآثارية أهميته؛ إذ عثر على الكثير من المنحوتات المغطاة بالذهب، وعلى أساسه قامت حركة التجارة الخارجية مع مناطق الساحل. انظر:

Mbuwayesango, D. R. "How local divine powers were suppressed: A case of Mwari of the Shona." In *The Postcolonial Biblical Reader,* Edited by Sugirtharajah, R. S, Blackwell Publishing Ltd, 2006, Pp. 259-260; **Seealso**: Dewey, W. J., *Pleasing the ancestors: The traditional art of the Shona people of Zimbabwe*. Diss. Indiana University, 1991, Pp, 10-14.

(58) Mkenda, F., Op. Cit., p. 12.

(59) Ibid, p. 11.

كان التصور الأوروبي المبدئي حول مملكة القديس يوحنا أنها تقع في الجانب الآسيوي، وكان موقعها وفقًا للكتابات الأوروبية آنذاك، إما في أرض الهند، وإما في الأراضي التى سيطر عليها المغول، فأشار بعضهم إلى شخصيات مثل جنكيز خان الذي تزوج ابنة داود الذي يزعم أنه ابن برستر جون. وأشار آخرون إلى تيمورلنك الذي لم يتمكن من هزيمة ملكها القوي. ووصفت الكتابات الأوروبية كيف سعت البابوية إلى تحويل شعوب تلك المنطقة للنصرانية، في حين حاول ملوك أوروبا الاستفادة منهم في مواجهتهم مع المسلمين في الشرق. ولكن خلال القرنين الثامن والتاسع للهجرة/الرابع عشر والخامس عشر للميلاد مع تنامي معرفة الأوروبيين بأفريقيا خلال حركتهم الكشفية أصبحت أفريقيا هي مستقر تلك المملكة وارتبطت في الذهنية الأوروبية بحكام مملكة الحبشة. للمزيد راجع:

Brooks, M. E., Op. Cit., Pp. 80-84-91-92. See ahso: Keagan, B., Prester John: The legend and its sources, Ashgate Published, Ltd, 2015.

https://blackcentraleurope.com/sources/1000-1500/a-letter-from-prester-john-ca-1165-1170/

وخلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي بدأت تظهر على الخرائط الأوروبية مملكة الحبشة التي يسكنها على حد تعبيرهم النصاري السود. وفي الوقت ذاته أشاع رجال الدين الكثير من المعلومات حول القديس يوحنا تؤكد كلها على تدينه وإخلاصه، كما عظموا من حجم مملكته والخاضعين لسلطانه، فأرضه تضم النوبة والحبشة معًا. وذكروا كذلك أن الأحباش هم من بادروا بالاتصال بأوروبا، وأن القديس يوحنا هو من عرض مساعدة ملوكها ضد من نعتوهم "بالكفار"، ويقصدون بذلك المسلمين. (انظر خريطة(٣) توضح المناطق المتخيلة في أوروبا لمملكة القديس يوحنا). انظر:

Salvadore, M., *The African Prester John and the Birth of Ethiopian-European Relations, 1402-1555*. Routledge, 2016, Pp. 1-2, 4-5.

(60) Chaix, P., Voyages du P. Jérôme Lobo et des jésuites en Abyssinie, *Le Globe. Revue genevoise de géographie* 27.1 , 1888, p. 36.

(61) Markham, C. R., the Portuguese Expeditions to Abyssinia in the Fifteenth, Sixteenth, and Seventeenth Centuries. *The Journal of the Royal Geographical Society of London*, Vol. *38*, 1868, p. 7.

(62) Mkenda, F., Op. Cit., p. 11.

(٦٣) وقد لعب بيرموديز من خلال ذلك دورًا كبيرًا في إثراء معرفة الأوروبيين بالحبشة؛ لذا صارت تلك المراسلات من وإلى ملك الحبشة إلى جانب ما تركه االمستكشفون الأوائل من آل دا جاما المصادر الأولية التى اعتمد عليها الغرب الأوربي في التعرف على تاريخ المنطقة. انظر:

Whiteway, R. S., The Portuguese expedition to Abyssinia in 1541-1543 as narrated by Castanhoso, printed for the Hakluyt Society, London, 1902, p. Xviii.

(64) Thurston, H., Abyssinia and its Jesuit Missionaries, *Studies: An Irish Quarterly Review*, 1935, p. 358.

(65) Markham, C. R., Op. Cit., p. 7.

وقد ورد في الكثير من الرسائل التي أُرسلت إلى قادة العمل التنصيري اليسوعي في أوروبا ما يؤكد على أن التعالي والغرور، وكذلك القسوة كانت طابعًا غالبًا على كثير من رجال البعثات اليسوعية. كما ورد فيها ما يؤكد أيضًا أن هذا الأمر كان شائعًا في كافة البعثات سواء تلك التي قصدت أفريقيا أم الأمريكتين وآسيا. انظر:

Abé, T., Interpreting Non-Christian cultures: Jesuit biases, In the Jesuit Mission to New France, Brill, 2010, pp. 48-50.

(66) Thurston, H., Op. Cit., p. 363.

(67) Williamel, O., Op. Cit., p. 3, 123.

(68) Chekroun, A., Le Futūḥal-Ḥabaša: Écriture de l'histoire, guerre et société dans le Bar Sa'ad ad-dīn (Éthiopie, XVIe siècle), *Thèse de doctorat d'histoire sous la direction du professeur Bertrand Hirsch Présentée et soutenue publiquement à Paris*, 2013, p. 335.

(69) Chekroun, A., "Conquête (s) et conversions religieuses dans l'Éthiopie du xvie siècle." *Archives de sciences sociales des religions,* No.182, 2018, p. 166.

(70) Williamel, O., Op. Cit., p. 128.

(71) Aregay, M. W., Op. Cit., Pp. 55-56.

(72) Chekroun, A., Le Futūḥal-Ḥabaša, Op. Cit., pp. 90-92.

(73) Davis, A. J., Op, Cit., Pp. 588-590.

(74) Ibid, p. 590.

(75) Caquot A., Histoire Amharique de Grāñ et des Gallas, Annales d'Ethiopie, Vol 2, 1957, p. 123.

ያን ፡ ጊዜ ፡ ንጉሡ ፡ ተኽሉት ፡ ተነሥተው ፡ ሄዱ ፡ ሮማውያን ፡ በፍርድ ፡ አይደሉምና ፡ ያስረቱኛል ፡ ብለው ፡ ከጳጳሱ ፡ ገብተው ፡ አቡን ፡ ስምዖንን ፡ ጠየቋቸው ፡ እውነት ፡ ጥምባሆ ፡ መጽሐፍ ፡ ይከለክለዋል ፡

في زمن العاصي لبنا دنجيل قام جران وأحرق جميع الكنائس، ودفع المسيحيين لمغادرة بلادهم. انظر: Ibid, p. 132, 141.

(٧٦) عندما بلغ أحمد مبلغ الشباب سأل والدته عن أبيه، فأخبرته أنه كان كاهنًا، وأن رهبان دبرا لبنان قتلوه بالعصى، وأن الواجب عليه أن ينتقم منهم.

ማለት ፡ ነው ፡ አሉት ። ሄደና ፡ እናቱን ፡ አባቴን ፡ ንገሪኝ ፡ አላት ። እሷም ፡ አባትህስ ፡ ቄስ ፡ ነበር ፡ የደብረ ፡ ሊባኖስ ፡ ካህናቶች ፡ ደብድበው ፡ ገደሉት ፡ እንጂ ፡ አሁንም ፡ ወንድ ፡ መሆን ፡ የአባቱን ፡ ደም ፡ መመላስ ፡ ነው ፡ እንጂ ፡ አሏችው ። ፩ ቀንድ ፡ የሌለው ፡ በሬ ፡ ነበረው ፡ እሱን ፡

Caquot A., Op, Cit., p. 133, 142.

(77) Ibid, Pp. 123-124, 142.

(٧٨) هي سلطنات أوفات، ودوارو، وأربيني، وبالي، وهدية، وشرحا، ودارة قامت تلك السلطنات السبع على الحدود الشرقية والجنوبية الشرقية لمملكة الحبشة النصرانية. وذكر العمري رواية عن بعض الفقهاء الجبرتية أن تلك الممالك ضعيفة في مواجهة مملكة الحبشة؛ وسبب ذلك الضعف هو التنافس والفرقة فيما بينها، وميل بعض حكام تلك السلطنات لصاحب الحبشة. انظر: العمري، مصدر سابق، ج٤، ص٣٢-٣٣؛ القلقشندي، مصدر سابق، ج٥، ص٣٢٥-٣٢٩.

(٧٩) وتزايدت تلك الظاهرة في الحبشة، بل ازداد تمسك الأحباش بها خلال العصر الحديث. للمزيد راجع:

Gascon A., Hirsch Bertrand, Op, Cit., p. 693, 694-996.

(80) Gascon A., Op. Cit., Pp. 692-693.

(81) Ibid, p. 693.

(82) Gascon A., Op. Cit.,, p. 698.

(83) Davis, A. J. Op, Cit.,, p. 568.

(84) Williamel, O., Op. Cit., p. 130.

(85) Henze, P. B., Op. Cit., p. 107.

(86) Ibid, p. 129, 141, 150.

(87) Ibid, p. 137.

(88) Ibid, p. 144.

(٨٩) أسس جلاوديوس للمرة الأولى منذ فترة طويلة من بدء صراعه مع سلطنات الزيلع الإسلامية عاصمة ثابتة؛ إذ كان مقر حكم ملوك الحبشة متحركًا بين المقاطعات فيما عرف بالمدينة المقدسة أو المعسكر الملكي. انظر:

Doresse, J., *Ethiopia*, elek book limited, London, 1959, p. 116.

(90) Williamel, O., Op. Cit., Pp.149-150.

(٩١) كان التواصل مع القوى النصرانية خلف بلاد المسلمين حلمًا راود ملوك أوروبا منذ أن انتشرت أسطورة برستر جون في أوروبا خلال فترة الحروب الصليبية. وقد بدأت الاتصالات الفعلية بين الطرفين منذ ١٤٤١م/٨٤٥هـ. انظر: Alfredo B. C., Galāwdēwōs Uma santa que disse não a Roma. Resenha de "The life and struggles of Our Mother W alatta Petros, Revista Poder & Cultura, Rio de Janeiro, Vol. 5, Nº 9, Jan./Jun. 2018, p. 416.

(92) Doresse, J., Op. Cit., p. 8.

(93) Zellelew, T. B., The Semiotics of the “Christian/Muslim Knife”: Meat and Knife as Markers of Religious Identity in Ethiopia. *Signs and Society*, Vol. 3, No.1, 2015, p. 45.

(94) Doresse, J., Op. Cit., p. 9.

(٩٥) كان هدف البرتغال اقتصاديًا في المقام الأول؛ فقد كانت تحدوهم الرغبة في كسر احتكار دولة المماليك والبندقية للتجارة الشرقية. والراجح أن سعي البرتغاليين لم يكن لكسر ذلك الاحتكار فحسب، وإنما لتحقيق قدر أكبر من السيطرة على الحركة التجارية عبر المحيطات، مما يعني بدأ مرحلة جديدة من الاحتكار تكون

البرتغال هي المتسيدة فيها. ولما كثر عدد المنصرين الذين شاركوا في حركة الكشوف البرتغالية بدأت تظهر الاهتمامات الدينية منذ منتصف القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. انظر:

Sargent, J., Following in Jesuit Footsteps: British Expeditions to Ethiopia in the Early Victorian Era, *Encounters between Jesuits and Protestants in Africa*. Brill, 2017. Pp.36-37. **See also**: Freeman-Grenville, G. S. P. "Some Aspects of the External Relations of the East African Coast: before 1800. In Ingham, K. "*Foreign Relations of African States, London (Colston Papers XXV)*,1974, p.69.

(٩٦) للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع راجع: Ševčenko, I., "Intellectual repercussions of the Council of Florence." *Church History,* Vol.24, No.4, 1955, Pp. 291-323.

(97) Bonechi, M., "Four Sistine Ethiopians? The 1481 Ethiopian embassy and the frescoes of the Sistine Chapel in the Vatican." *Aethiopica,* Vol.14, 2011, Pp.123-124.

(٩٨) لم يكن أمر الكنيسة وحده هو هدف ذلك الوفد الحبشى الذي زار روما، وإنما كانت هناك أهداف أخري، كالتنسيق لشن حرب ضد دولة المماليك في مصر، ومناقشة مشروع تحويل مياه النيل عن مصر. انظر: Bonechi, Marco. Op, Cit., p125.

(99) Sargent, J., Op, Cit., p. 37.

(100) Thurston H., Abyssinia and its Jesuit Missionaries, Quarterly Review, Vol. 24, No. 95 (Sep., 1935), p. 357.

(101) Sargent, J., Op, Cit., p. 37.

(102) Markham, C. R., Op. Cit., Pp 7-8.

(١٠٣) كانت الأوضاع السياسية في الحبشة مضطربة للغاية بسبب الصراع مع القوى الإسلامية، الأمر الذي كان يحول دون التواصل مع السلطات في مصر للحصول على مطران مصري جديد لرعاية كنيسة الحبشة. انظر:

Thurston H., Op, Cit., Pp. 357-358.

(104) Davis, A. J. Op, Cit., p. 568.

(105) De Lacy, O., *The Ethiopian Church: historical notes on the church of Abyssinia*. Society for Promoting Christian Knowledge, London, 1936, p. 59.

(106) Thurston H., Op, Cit., p. 358.

(107) Markham, C. R., Op, Cit., p. 8; Thurston H., Op, Cit., p. 359.

(108) Sargent, J., Op, Cit., p. 38.

(109) Markham, C. R., Op, Cit., p. 8.

(110) De Lacy O., Op, Cit., p. 60.

(111) Salvadore, M., Op. Cit., p. 8.

(١١٢) ورغم تلك الإجراءات الصارمة تجاه البعثات الأوروبية في الحبشة إلا أن محاولات رجال الدين الكاثوليك استمرت للوصول إلى الحبشة وتحقيق أهدافهم فيما يخص الكنيسة الحبشية، وتصاعدت تلك المحاولات مع تصاعد الوجود البرتغالي في المحيط الهندي، ومع وجود شخصية بيدرو بايز(Pedro Paez) الذي وصل إلى المنطقة في عام ٩٧٢هـ/١٥٦٤م ووقع في الأسر بسبب الإجراءات الصارمة التي فرضت من قبل الدولة العثمانية على تحركاتهم، ولكنه استفاد من فترة أسره، فقد تعلم اللغة العربية، ثم عاد إلى مصوع ومنها انطلق إلى الحبشة. وتمكن بايز من تحقيق نجاح كبير في مهمته؛ حيث أقنع ملك الحبشة سوسينيوس(Susenyos) ١٦٠٦-١٦٣٢ بالتحول إلى المذهب الكاثوليكي، وهو ما عرض الملك لمضايقات شديدة من جانب القوى المحلية، حتى تراجع في نهاية المطاف وأصدر مرسومًا بالعودة للاعتماد على كنيسة الإسكندرية، ولكنه في نفس الوقت أوصى برجال الدين الكاثوليك. أما خليفته فاسيليدس(Fasilides) ١٦٣٢-١٦٦٧ فلم يجد صعوبة في خلع والده من الحكم، ورغم أنه أقسم على اتباع الإيمان الكاثوليكي والكرسي

البابوي في روما، إلا أنه لم يجد غضاضة في عدم الوفاء بهذا القسم الذي يعيق حريته، ومن ثمَّ تعرضت البعثة الكاثوليكية للطرد نهائيًا من الحبشة في عهده. وتشير الأحداث التي وقعت بعد ذلك في الحبشة إلى أن عمل تلك البعثة لم يذهب هباءً؛ إذ ظهرت بوادر الانشقاقات الدينية داخل كنيسة الحبشة، الأمر الذي دفع رأس الكنيسة الحبشية على حمل السلاح وقتال الخارجين على مذهب الكنيسة الحبشية حتى تم وأد تلك التمردات. انظر:

Sargent, J., Op, Cit., p. 39; Markham, C. R., Op, Cit., p. 8; Thurston H., Op, Cit., p. 364.

(113) Thurston H., Op, Cit., p. 358.

(114) De Lacy, O., Op. Cit., p. 60.

(115) Ibid, p. 60.

(116) Ibid, pp. 61-62.

(117) Ibid, p. 62.

(118) Milkias, P., *Ethiopia*. Abc-Clio, 2011, Oxford, England, 2011, p. 139.

(١١٩) استخدم بعض الإيطاليين الذين وصلوا إلى الحبشة في وقت مبكر كسفراء لدى ملوك أوروبا للحصول على بعض المساعدات، كان من بينهم عدد من الحرفيين المهرة؛ لدعم القطاع الحرفي في الحبشة. ويشير تراسيلي كارميلو(Trasselli Carmelo) إلى أن الهدف الرئيس لتلك السفارات أخفي في طيات الرسائل التي حملها أولئك السفراء، ويتمثل في عقد تحالف عسكري ضد مصر، وأن ذلك الاتجاه ظهر جليًا منذ عهد الملك زرء يعقوب(٨٣٨-٨٧٣هـ/١٤٣٤-١٤٦٨م).

Trasselli, C., Un Italiano in Etiopia nel XV Secolo Pietro Rombulo da Messina, *Rassegna di Studi Etiopici*, (maggio-agosto), 1941, Vol. 1, No. 2, Pp. 175-1٧٦, 178-194.

وقد تم رصد أخبار تلك السفارات وتجسيدها في جداريات محفوظة في مقر البابوية في روما. للمزيد من التفاصيل راجع:

Bonechi, M., Four Sistine Ethiopians? The 1481 Ethiopian embassy and the frescoes of the Sistine Chapel in the Vatican, *Aethiopica,* Vol. 14, 2011, pp. 121-133.

(120) Caquot, A., Op. Cit., pp. 189-190.

(121) Haile, G., *Ethiopian heresies and theological controversies*. In. Atiya, Aziz Suryal; ATIYA, L.ola; Torjesen, Karen. J. & Gabra, Gawdat. (orgs.). The Coptic Encyclopedia Claremont. Claremont: CGU School of Religion, 1991b, v. 2, p. 988.

(122) Zellelew, T. B., Op. Cit., p.45.

(123) Ibid.

(١٢٤) ويؤكد تلك التأثيرات الخارجية في قداسات الكنيسة الحبشية ما ذكره القس مرقس داود الذي قام بترجمة تلك القداسات، فأكد بداية إقرار رجال الدين الأحباش بأن قداسات كنيستهم الأربعة عشر منقولة عن الكنيسة المصرية غير أنهم فقدوها، ولم يبق منها إلا ثلاثة، وهي قداسات القديس كيرلس، والقديس غريغوريوس، والقديس باسيليوس. وبترجمة تلك القداسات وجد أن الأخير منها يتفق تمامًا مع القداس السكندري، وأما الآخران فيختلفان تمامًا عن مثليهما في الكنيسة المصرية. انظر: Daoud, M (Translated), The Liturgy of the Ethiopian Church, Revised by Blatta, M. A, the Egyptian book prees, Cairo, 1959, p. 1.

(١٢٥) **الأفخارستيا** هي أحد أهم التيورجيات التي تؤدى في الكنائس، ويُشار إليه على أنه سر من أسرار الكنيسة، فهو سر الشكر، وسر الخلاص، وسر العهد الجديد الذي قدم وفقًا له الابن دمه مهرًا لكنيسته. وهو كذلك سر الفصح الذي يفهم به الكتاب المقدس بعهديه. وينظر إليه أيضًا على أنه لغز قامت حوله منذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي الكثير من المجادلات التى تمخضت عن العديد من الآراء. ورغم ذلك احتل

قداس الأفخارستيا مركز الصدارة بين القداسات التى تؤدى في كثير من الكنائس حول العالم. ويُذكر أنها مركز حياة الكنيسة، فكل شيء في الكنيسة يؤدى إليها، ومنها ينبع كل شيء؛ إذ أنها سر أسرار الكنيسة. للمزيد راجع: رودلف مرقس يني، الأفخارستيا، مجلة مرقس، العدد١٧٩، مطبعة العالم العربي الجديد، القاهرة، ١٩٧٦، ص٢٧-٣٣. انظر أيضًا:

Schaff, P., History of the Christian Church, Volume III: Nicene and Post-Nicene Christianity. AD, 1884, Pp. 289-295.

(١٢٦) تتألف الأنافورة من صلاة الأفخارستية العظيمة لتقديم الشكر، وإحياء ذكرى الأيام العظيمة في حياة المسيح بكلمات الرسل، واستحضار الروح القدس تمهيد لتغير الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح السريين، ومن ثمَّ يقدم القربان، وتختتم الأنافورة بترنيمة مخصوصة. انظر: Schaff, P., Op. Cit., Pp. 301-302, 309.

(127) Alfredo B. C., A Mãe de Deus na tradição cristã etíope: uma leitura introdutória da Anáfora de Santa Mariade Abba Ciríaco de Behnesa, COLETÂNEA Rio de Janeiro v. 16 n. 31 p. 153-173 jan./jun. 2017, p. 158.

(128) Alfredo B. C., Op. Cit., p. 157.

(129) Salvadore, M.,Op. Cit., p. 4

(130) Zellelew, T. B., Op. Cit., p. 50.

(131) Alfredo B. C., Galāwdēwōs, Op. Cit., p. 417.

(132) Haile, G., Op. Cit., p. 988.

(١٣٣) زاهر رياض، تاريخ إثيوبيا، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م. انظر أيضًا حول تلك الإجراءات الصارمة التي اتخذها زرء يعقوب ضد المسلمين، والوثنيين، والنصاري على غير مذهب الطبيعة الواحدة في نصه الملكى.

Perruchon, J., *Les Chroniques de Zar'a Yâ eqôb et de Ba'eda Mârâyn Rois d'Ethiopie de 1434 à 1478*, Emile Bouillon, Editeur,1ère partie, Paris, 1893, pp.202-203.

(134) Mkenda, F., A Protestant Verdict on the Jesuit Missionary Approach in Africa: David Livingstone and Memories of the Early Jesuit Presence in South Central Africa." *Encounters between Jesuits and Protestants in Africa*. Brill, 2017. pp. 59, 73-74.

(135) Chaix, P., Op. Cit., p. 36.

(136) Alfredo B. C., Galāwdēwōs, Op. Cit., p. 418..

(137) Costa, C. J. & et al. Op. Cit., pp. 1-4.

ظهر هذا الارتباط بصورة أكثر وضوحًا عندما بدأ التنافس بين القوى الأوروبية على القارة الأفريقية، فعبر عنه ديفيد لفنجستون وعدد من المنصرين حين أشاروا إلى أن الذهاب إلى أفريقيا حقق فائدة متبادله للأفارقة والأوروبيين. أما بالنسبة للأفارقة فقد عزز حضارتهم حين وضع بذور النصرانية بينهم، وبالنسبة للأوروبيين فقد ساعد على تنمية تجارتهم مع أفريقيا. للمزيد انظر:

Mbuwayesango, D. R., Op. Cit., pp. 259-268.

(138) Alden, D., The making of an enterprise: The Society of Jesus in Portugal, Its Empire, and Beyond, 1540–1750. Stanford: Stanford University Press, 1996, p.130.

(139) Chaix, P., Op. Cit., p. 37.

(140) Ibid, p. 47.

(141) Alfredo B. C., Galāwdēwōs, Op. Cit., p. 417.

(١٤٢) ظهر هذا الأمر على نطاق واسع في زمن الإمبراطور سوسينيوس الأول(١٠١٥-١٠٤٢هـ/١٦٠٦-١٦٣٢م) الذي وقع تحت تأثير رجال الدين اليسوعيين، واعترف بالمذهب الكاثوليكي، وربط كنيسته بكنيسة روما. وقد أدى ذلك لظهور الكثير من المناقشات والجدل داخل الكنيسة الحبشية. وقد أسفر ذلك عن اضطرابات اجتماعية، واضطهادات دينية لمن رفضوا الإيمان الجديد. غير أن تلك البدع لم تصمد بعد ذلك أمام الإيمان الأرثوذكسي الراسخ لكنيسة الحبشة، وساعدها في ذلك ارتباطها الوثيق بكنيسة الإسكندية التي أبى بطاركتها ترك كنيسة الحبشة فريسة لتلك البدع. انظر:

Alfredo B. C., Galāwdēwōs, Op. Cit., Pp. 417-418; Haile, Getatchew, Op. cit., Pp. 988-990.

(143) Alden, D., Op. Cit., p. 77.